

من شرح الحكم العطائية

للشيخ الدكتور علي جمعة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله و الصلاة و السلام على سيدنا رسول الله وعلى
آله وصحبه ومن والاه.

كان ابن عطاء رضي الله عنه من كبار الصالحين. تُوفى
في أوائل القرن الثامن الهجري، وكان ابن تيمية رحمه الله
تعالى يجله ويقدره، ويناديه يا ولي الله. شَهِدَ عَلَى ابن تيمية
في عدة مسائل فكان سببا في دخوله السجن. فلما خرج
قال لا ألومك لأنك ما قلت إلا الحق. أي أن الأمر ليس هو
أن أُسَجَنَ أم لا، ولكن المهم أنك أنت قد قلت الحق،
وأعلم أنك ما قلت ذلك إلا لله. فشهد له القريب والبعيد،
وسبب ذلك وسرّه الإخلاص لأنه كان مخلصا لله قد توكل
عليه سبحانه وتعالى حق توكله. أخرج الدنيا من قلبه ودعا
الله سبحانه وتعالى ألاّ تدخل فيه حتى يلقاه. فتنزلت عليه
الأنوار وتكلم بهذه الحكم التي سميت بالحكم العطائية
نسبةً لاسمه ابن عطاء وإشارةً لما فيها من عطاء رباني
ومنحة منحها الله سبحانه وتعالى وأجراها على لسان ذلك
الولي، فله من اسمه نصيب. فهو أحمد ابن عطاء الله وهو

من عطاء الله وحكمه من عطاء الله. كل الحكم تفسر لا حول ولا قوة إلا بالله من مداخل كثيرة تشرح هذه الكلمة التي هي كنز من كنوز العرش. فتخيل ما العرش؟. النبي صلى الله عليه وسلم يُخْبِرُ أن السماء الدنيا في السماء الثانية حَلَقَةٌ في فَلَاهِ أي أن نسبة السماء الدنيا في حجمها إلى السماء الثانية كنسبة الحلقة في الصحراء الكبيرة وهذا يعني أنها نسبة لا تكاد تُذَكَّر: واحد إلى مليون أو إلى مليار، لا نعرف بالفعل لأنها أعداد يقولون عنها الأعداد الفلكية حتى يعجز العقل عن تصورها. والسماء الثانية بالنسبة للثالثة كذلك، حلقة في فلاه. وهنا يتوقف العقل فنجلس نتصور ما مقدار الاتساع. وهذا الإنسان الصغير الذي هو في أرض الله. هذه الأرض التي لا نستطيع أن ندرك مشارقها ومغاربها. وهذه الأرض ذرة في ذلك الكون، وأقل من حلقة في فلاه بالنسبة للسماء الدنيا فما بالك بالسابعة، وكل سماء بالنسبة لما بعدها حلقة في فلاه يعني ذرة في كون فسيح، وذلك حتى نصل إلى السماء السابعة فتكون حلقة في فلاه بالنسبة للعرش. فالعرش مخلوق عظيم غاية في العظمة من ناحية الحجم. إذا رآه أي مخلوق فإنه يسجد لله الذي خلقه. يسجد لله انبهارا بهذا الخلق الذي لا يمكن لعقل أن يحيط به. والله سبحانه وتعالى يخاطب مخلوقاته وهو خلقها وجعلها تتجه إليه سبحانه وتعالى. فالكون كله يسبح ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء 44). والكون يسجد، يسجد له ما في السماوات

وما في الأرض. الكون مسخر والسماء تبكى وكذلك الأرض تبكى ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ (الدخان 29). إذن هذه الأشياء يخاطبها ربنا ويجعلها تسير في تيار يتجه إلى الله. فإن الله مقصود الكل: مقصود السماء وكذلك الأرض ومقصود هذا وذاك مما علمنا ومما لا نعلم، فالكل منجذب إليه بالحال والقال إلا قلب الكافر فإنه منجذب إليه بالحال ويأبى بالقال. هل رأيت اللعنة التي يعيشها الكافر ومدى المصيبة التي يخالف بها تيار الكون فالكون كله يسير في تيار يتجه إلى الله وهذا الكافر يدير له ظهره ويسير في الاتجاه المعاكس. وهو على هذه الحال سوف يغرق ويشعر بالتعب. وهو تعبان بالفعل، فحينما تكلمنا مع الكافرين قالوا لنا نحن في جهنم. فقلنا لهم آمنوا وأخرجوا أنفسكم من جهنم. فقالوا لا يمكننا.. لا نستطيع. فقلنا سبحان الله تبكى ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ (الأنفال 24)، فهم لا يعرفون كيف يؤمنون من كثرة كفرهم ووصولهم إلى درجة العُتُلِّ، فهناك درجة تسمى بالعتل الزنيم.. فالكون كُلُّه يتجه إلى الله تبكى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب 72)، ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (فصلت 11)، إذن فالسماء والأرض أتوا طائعين عندما خاطبهم، ولكن يبدو أن العرش شاف نفسه شوية (لم يكن كذلك). والعرش هو أعظم مخلوقات الله. فالسماء السابعة

التي هي حلقة في فلاه بالنسبة إليه. فلما خلقه الله لم يُمكنه أن يتكلم كده وكده (أو يكن له رأى) ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه5)، استوى أي أسكنه أي استولى عليه وقهره. وهل هذا يعنى أن مخلوقات الله تقهر من الله؟ نعم. فهذا هو يقول لها ﴿إِنِّيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً﴾ (فصلت11)، وهذا يعنى أنكم لو لم تأتون طوعاً فستأتون كرهاً. فهناك مخلوقات على هذا الحال قد تفكر أو تظن أن لها قدرات معينة. (هيفكر ويتمنظر كده) لكن لا فسوف تأتى قهراً. فالعرش دليل عظمة الله، فاستواء الله عليه معناه شدة العظمة، فالله عظيم، لا يحيط به العقل. ولذلك تجد أهل الله وهم يصلون على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون للعرش إذا كنت أنت مسروراً لأنك عرش استواء العظمة، فلدينا أحسن منك. فمن هو؟ إنه سيدنا رسول الله، فهو سيد المخلوقات والكائنات، لماذا؟ لأنه عرش استواء رحمانية الله. فهل الرحمانية أعلى أم العظمة أعلى؟ الرحمانية طبعاً. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء107)، فهذه فاقت. ولذلك قال " بسم الله الرحمن الرحيم "، ولم يقل " بسم الله الرحمن العظيم ". فيا الله صلّ على عرش استواء رحمانيتك صلى الله عليه وآله وسلم. وهذا الكلام يثبت عظمة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن قلبه الشريف كان محل استواء رب العالمين من جهة الرحمانية لا من جهة العظمة كما هو لأعظم المخلوقات حجماً وهو العرش المبارك الشريف. إذن فعندما تقرأ هذه العبارة يجب

أن تفهمها " اللهم صَلِّ على عرش استواء رحمانيتك ".
وتعرف أن معناها أنك فضلت رسول الله صلى الله عليه
وسلم على سائر الكائنات ورفعته إلى المقام الأعلى، فهو
أعظم من كل عظيم. لأن الله سبحانه وتعالى أرسله رحمة
للعالمين بما فيها العرش والفرش وكل شئ. وحصر ذلك فيه
فقال ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء107)،
فهو أسلوب حصر وقصر. هذا العرش الذي استوى عليه ربنا
سبحانه وتعالى، والذي فَضَّلْنَا بأن اتبعنا رسول الله الذي هو
أعظم منه شأنًا وأجل قدرا. هذا العرش يسبح بحمد الله مع
عظمته، وإذا نظر إليه الناظر خر ساجدا لله.. ولم يخر ساجدا
للعرش.. فهذه أمة توحيد. فيخر ساجدا لله لأنه يتبين أن مَنْ
خَلَقَ هذا يستحق السجود له. فالكون يسجد، فلا بد عليك
أيها المؤمن أن تسير في تيار هذا الكون.

وابن عطاء الله السكندري لَمَّا خَلَا قَلْبَهُ مِنَ الدُّنْيَا،
أَصْبَحَ قَلْبُهُ عَرْشًا مِنْ عُرُوشِ اللَّهِ تَتَلَاؤًا عَلَيْهِ الْأَنْوَارُ لِأَنَّ اللَّهَ
يَتَّخِذُ الْقَلْبَ عَرْشًا. فقلب المؤمن إذا أَخْرَجَ مِنْهُ
السَّوَى.. سوى الله سبحانه وتعالى.. ولم يبق فيه إلا الله
انكشفت له الأنوار وانكشفت له الأسرار فينطق بالحكمة.
﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (البقرة269)،
إذن الخير الكثير في الحكمة. والحكمة تخرج من قلب
المؤمن الذي أخرج منه السوى. سوى ماذا؟ سوى الله.. فلم
يبق فيه إلا الله.. فكان بيتا لله.. وما كان كذلك كانت النفس
عنده ضيفا على الله.. ومن كان ضيفا على الله فحق على الله

أَنْ يُكْرِمَهُ. نعم فالله كريم. فيفتح له من ينابيع الحكمة ما يجرى على لسانه. أخرج ابن أبي الدنيا في الصمت - كتاب اسمه " الصمت " يعنى اسكت وهذا أحسن لك - ﴿ إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ أُوتِيَ صَمْتًا وَعِبَادَةً فَأَعْلَمُوا أَنَّ قَلْبَهُ يَتَفَجَّرُ مِنْهُ يَنْبُوعُ الْحِكْمَةِ ﴾ ، وليس صمتا لأنه أهطل، ولا صمت لأنه عنده عَجَزٌ أَوْ عِيٌّ بل إنه صامت لله. ﴿ يَا مَعْزُومُ هَلْ يَكُفُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ. قَالَ أَنْوَاجُ مَا نَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: رَبُّ الْكَلِمَةِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ لَا يَلْقَى أَحَدَكُمْ إِلَيْهَا بِالَا تَهْوَى بِهِ سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي جَهَنَّمَ..إِذَنْ أَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ فَكَيْكَ وَفَخْذِكَ أَضْمَنْ لَكَ الْجَنَّةَ ﴾ وقال هذا سيدنا رسول الله، أي توقف عن الكلام الكثير. ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ (المؤمنون3).

فيبدو أن سيدنا ابن عطاء أعطاه الله هذا فنور قلبه فأجرى الحكمة على لسانه فأنشأ هذه الحكم، حتى صار قَلْبُهُ عَرْشًا لِلْأَنْوَارِ وَانْكَشَافَ الْأَسْرَارِ. عددها (264) ، حكمة كل حكمة تكتب بماء الذهب. مات ابن عطاء سنة (709 هـ) ، ودفن بسفح المقطم. وهو تلميذ المرسى أبو العباس المدفون بالإسكندرية. والمرسى أبو العباس هو تلميذ أبو الحسن الشاذلي المدفون بحميثة على البحر الأحمر في جنوب الوادي. وأبو الحسن الشاذلي - وكان اسمه على - تلميذ ابن بشيش (أو مشيش لأن العرب إذا جاءت الباء في أول الكلمة ينطقونها باء أو ميما: قال ما اسمك، قال بكر. قال وما الذي عدل بك عن لغة قومك فكانوا لا

ينطقونها مكر ولكن بكر، فقال خفت أن أكون مكرًا، فبكر أحسن من مكر وكان هذا حال العرب). فابن عطاء له سلسلة يَرْقَى بها إلى الأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وهذا الطريق إلى الله بركته في تلك السلسلة. المسلمون دائما يهتمون بالسلسلة..بالإسناد. إن هذا الإسناد دين فانظروا ممن تأخذوا دينكم. تميزت الأمة الإسلامية بأنها قد وثَّقت قُرْآنَهَا. يَجِب أن أقرأ على الشيخ حتى أستطيع أن أقول أن القرآن الذي أنطقه هو القرآن الصحيح، وهو ما سمعته من الشيخ. وثَّقُوا أحاديث نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم. فلدينا مليون سند ولدينا ملفات لعشرين ألف بنى آدم. كل ملف يحتوى على العديد من المعلومات: متى مات ومتى ولد وإلى أي البلاد رحل، وهكذا. كذلك في الطريق إلى الله والإرشاد والورثة والبركة. فإن البركة تنثال في حلقات السلسلة. سلسلة بدايتها أنت ونهايتها سيد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم. لا تُنْقَل عن أوهام ولا عن أخبار، ولا تُزَاد أو تنقص بل عن حق وحقيقة ورؤيا ومشاهدة وَأَخْذُ. البركة من جيل إلى جيل ومن حلقة إلى حلقة. إذن فلا بد علينا أن ندرك سر البركة، وأن البركة من ميراث الأنبياء وأنها مَوْرُوثَةٌ من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرى في الأمة كما يسرى الماء في الورد، وأن هذه الأمة باقية على خيريتها ما بقيت البركة موروثه، وأن من قَمَم البركة أهل البيت فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخرجه الترمذي وليس في الستة سِوَاه يقول: ﴿ تَرَكْتُ

فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَى أَبَدًا، كِتَابَ اللَّهِ
وَعِتْرَةَ أَهْلِ بَيْتِي ﴿﴾ ، ولم يقل ﴿﴾ وسنتي ﴿﴾ فالموجود في
الكتب الستة ﴿﴾ وعطرة أهل بيتي ﴿﴾ ، أما لفظ ﴿﴾ وسنتي ﴿﴾
أخرجه أحمد بلفظ: ﴿﴾ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ
تَضِلُّوا بَعْدَى أَبَدًا، كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي ﴿﴾، لكن ﴿﴾ وعترتي ﴿﴾
في الترمذي. والترمذي مقدم على أحمد لأنه من الكتب
الستة المعتمدة. وماذا يعني آل البيت؟. يعني النبي حقيقة.
وماذا يعني القرآن؟ يعني النبي حقيقة. فالنبي صلى الله عليه
وسلم هو الوحيد الذي نَقَطَعَ بِقَبْرِهِ. فأخبرونا أين هو قبر
موسى؟ أو قبر آدم؟ أو سليمان؟ لا أحد يعرف، ولا أحد
يعلم. فالقبر الوحيد الموجود والمعروف هو للرسول صلى
الله عليه وسلم. وبصعوبة يمكن القول بأن قبر سيدنا إبراهيم
في الخليل، ومدفون إلى جانبه إسحاق ويعقوب ويوسف
وكله ظن، وزوجاتهم ظن، و قريب من دمشق هناك أيوب
وهو ظن أيضا، ونجد هناك الضريح مبنى مثلما يفعل
المسلمون ولكنهم كان يدفنون على الشرق فكيف مثل
المسلمين إذن. وهناك أيضا دانيال وهو مدفون بالإسكندرية
ولكنه أيضا ظن فلا أحد يجزم بذلك. ولا يوجد حقيقة إلا
سيد الخلق وهذا تَقَرُّدٌ.. حَسَّ لا يمكن أن ينكره أحد.. لا
يمكن أن تنكر وجود سيدنا محمد. وهناك شخص ملحد
مجرم وهو من كفار أوربا قام بتأليف ثلاثة مجلدات يثبت
فيها عدم وجود سيدنا عيسى، فقال أن سيدنا عيسى غير
موجود. فسألناه لماذا؟ فقال لا يوجد في السجلات الرومانية

أي شيء عنه. أما عندنا نحن المسلمون فيوجد لدينا آلاف الروايات من آلاف الأشخاص تُعَبَّرُ عَنْ كُلِّ مَقُولَةٍ صَدَرَتْ مِنْ فَمِهِ الشَّريْفِ صَلَّى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَتُعَبَّرُ عَنْ كُلِّ حَرَكَةٍ وَسَكْنَةٍ. وَحُفِظَ الْقُرْآنُ وَفِيهِ آيَةٌ مُعْجِزَةٌ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر 9)، فإذ به قد حُفِظَ. حفظه الله سبحانه وتعالى فعلا لا على مستوى الكلمة ولا الجملة ولا السورة بل على مستوى نُطْقِ الحرف. فعندما تجلس أمام المشايخ وتقول ﴿وَالصُّحَى﴾ بتضخيم الحاء فيقولون على الفور: لا بل قُلْ ﴿وَالصُّحَى﴾ بترقيق الحاء. وتجده يزجرك ويقول لك: انطق بطريقة سليمة. ويخبطك في كتفك، فهذا حِفْظٌ، وإلى الآن. وهو الكتاب الوحيد الذي يُحْفَظُ فبالإضافة إلى أنه محفوظ من التحريف فإنه محفوظ حتى في التلاوة. هل رأيت كتاب يحفظ؟ هل هناك أحد حفظ التوراة أو الإنجيل. من يحفظ منه صفحة يصبح من العلماء الكبار لديهم فقد حفظ صفحة، فقط. وعندنا نحن المسلمون نجد الشدة من المشايخ ويوجهونا قائلين: ألا تحفظ! كن واعيا للقرآن. وعندما يتلجلج أحد المشايخ في الصلاة لا يمر الموضوع سهلا، بل وتجده طفلا صغيرا هو الذي يرد عليه. هذه معجزة.. طفل صغير.. والشيخ يقف في المحراب، وهذا المحراب (يلحس الدماغ) يجعل الشخص مضطربا فالمحراب والمنبر وهذا التوجه وكل هذا يجعل المرء مضطربا لشدة الموقف. هناك مَنْ ينسى الفاتحة.. فهي مسؤولية كبيرة وضخمة. وقال عبد الملك بن مروان : "

شيبنتي المنابر والمحارب " وكان فصيحاً عالماً ولكنه كان يخاف. ورغم ذلك أيضاً تجد الرجل في رمضان يقف بنا ويصلي بنا ولا يخطأ إلا خطأ بسيطاً مثل أن دخل من آية إلى أخرى، ولكنه كان حافظاً. شئ عجيب. فالقرآن محفوظ وآل البيت محفوظين وأسانيد النبي في سُنَّته محفوظة والبركة موروثة. كن واعياً لأن هذه المعاني بدأ كثير من الناس في القَدْح فيها، فما قَدَحُوا إلا في أنفسهم ودينهم والعياذ بالله تعالى. فتحرر من هؤلاء الذين يريدون فساداً كبيراً في الأرض وتمسك بما عليه السلف الصالح واعلم أن البركة موروثة من لَدُنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرى في الأمة سريان الماء في الورد. وهذا قطعاً لأنها أمة مثل الورد، رائحتها حلوة لأنه لا يسجد أحد غيرنا.. لا يذكر الله أحد غيرنا.. لا يسير أحد يأمر بعبادة الله وعمارة الكون وتركية النفس غيرنا.. لا أحد عنده أمر بالمعروف ولا نهى عن المنكر سوانا. فانظر إلى مدى من أجرم في حقنا فأضعف قوتنا حتى لم نعد قادرين على الجهاد في سبيل الله.. وانظر إلى مدى الإجرام الذي يتولى كِبَرَه من يتولاه في تضييع الأمة من أجل المصالح الشخصية لبعض الناس، فتكون مصيبتهم عظيمة عند الله، ولكن ينبغي عليك أن تبدأ بنفسك ثم بمن تعول. إذا أردت أن تُغَيِّرَ فابدأ بنفسك ثم بمن تَعُول.

أترك جَذْعَ النخلة في عينك، وترى القَدَاة في عين أخيك.

أي ابدأ دائما بنفسك. ﴿ حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا ﴾ .

عَرَفَ ابن عطاء رضي الله عنه كل هذا فَطَبَّقَهُ فَوَرِثَ عن مشايخه بَرَكَةً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فَنَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ فنطق بالحكم. قال أول ما قال وهى على هذا الترتيب الذي رتبته ابن عطاء فيها حكمة. فإن كل حكمة تُعْطَى للتي بعدها.. تُسَلَّم الأمر للتي بعدها.

جاء ابن التقي الهندي ولم يفهم ذلك فقام بترتيبها من عنده، وقام بجمع الحكم التي تشبه بعضها في باب واحد، فاختلط الأمر. لا تقوم بترتيبها على الحروف الأبجدية كما فعل الشيخ الزمى فهذا ليس له معنى، وإنما يفيد في مجال البحث فقط. فالمسألة أصلاً ترجع إلى الأنوار والبركة من عند ابن عطاء، فلا تغير فحن أمة نسعى إلى الحق بهدوء.. بالعلم.

فلا تسرع بالتغيير فهذا ليس من الشطارة أن تقوم بالتغيير فهناك نزعة حالياً تسعى إلى التغيير.

فحتى في المؤتمرات تدور حوارات مفادها الآتي:

قِيلَ لَنَا أَلْن تَغَيِّرُوا مِنْ أَنْفُسِكُمْ.. أَلْن تَغَيِّرُوا الْقُرْآنَ.. لقد قمنا نحن بالتغيير وأعدنا طبعا جديدة.. مزيدة ومنقحة.

فجاء جوابنا عليهم أن هذا لا يصح.

فكان ردهم علينا أن هذا هو حالكم أيها المسلمون لا تقبلون التغيير مثلنا. وقالوا لنا أن الأمر سهل فقط الآية التي لا تعجبكم عليكم بحذفها في الطبعة الجديدة.

كان جوابنا هو أن هذا لا ينفع.

قال لي أحدهم: ولماذا أأست رجل دين؟

فقلت له: لا، أنا عالم دين.

فقال: وما الفرق، فرجل الدين هو عالم الدين، وعالم الدين هو رجل الدين، ورجل الدين لديه سلطة بالحذف أو الإضافة كما يريد.

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ (التوبة 31)

فقلت له: نحن لسنا كذلك.

فجاء كلامه: إذن أنتم متخلفون.

ودار الحوار فقال: احذف.

قلت: لا أستطيع.

قال: لماذا لا تستطيع.

قلت: المسلمون لا يتركونني. إذا حذفت آية من القرآن

فسوف يغضب المسلمون.

قال: ولماذا يغضبون أأست رجل الدين عندهم وسوف تقول

لهم إن هذه ليست هنا والأفضل حذفها.

قلت: الأمر ليس كذلك فالمسلمون يعرفون أيضا، فالأمر كله

واضح عندنا وليس مثلما فعلتم أنكم قمتم بإخفاء ما عندكم

فتستطيعون أن تغيروا فيه كيفما شئتم ولكننا لا نخفي شيئا

فالكل يعلمه.

قال لي: أنتم مخطئون لماذا لم تخفوه لديكم ثم تحرفون فيه

ما تشاؤون ولا تقولوا تحريف بل هو تطوير للقرآن.

الخلاصة أننا لن نتفق معا فنحن أمة تسعى إلى الحق بينهما
هم يسعون إلى المنفعة والمصلحة والشهوة فلن نتفق معا.
لذلك احرص على ترتيب ابن عطاء لأن فيه بركة،
وهي بركة موروثه. وتجاوز به إلى الأنوار التي وراءه. قال
رضي الله عنه ونفعنا الله بعلومه في الدارين، آمين:

الحكمة الأولى

مِنْ عَلَامَةِ الْاعْتِمَادِ عَلَى الْعَمَلِ : نُقْصَانُ الرَّجَاءِ عِنْدَ وُجُودِ
الزَّلَلِ.

أَعْلَنَ العبودية وقال لك أنت عَبْدُ اللَّهِ. إذن فينبغي عليك أن
تفعل العمل مخلصا لله قال صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ إِنَّمَا
الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ﴾ وقال ﷺ ﴿
ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ... ﴾ ، وقال ﷺ ﴿ لَا يَبْلُغُ أَحَدُكُمْ
مَبْلَغَ الْإِيمَانِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ
أَجْمَعِينَ ﴾ ، وقال ﷺ ﴿ لَا يَبْلُغُ أَحَدُكُمْ مَبْلَغَ الْإِيمَانِ حَتَّى
يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ ﴾ ، أي أنه لابد عليك من
إخلاص النية لله وأن تفعل العمل لله. وماذا لو فعلت العمل
للعمل؟ في هذه الحالة فأنت تكون ناسيا لله، ولا تذكره.
فأنت تصلى لأن وقت الصلاة قد أتى لكنك لا تتذكر الله
أصلا. إذن فالعبادة بدون ذكر الله تتحول إلى عادة. وإذا
سألته لماذا تصلى؟ يقول لك أنا أصلى كل يوم ولا أترك

الصلاة وليعاذ بالله. وهذا شيء جميل وحلو، لكن أين معنى هذه الصلاة التي قمت بها.. أين نيتها.. أو حالها، يجب أن يكون لها حال لديك.. يجب أن تعيشها.. وأنت الآن فقط تقوم بالصلاة كأداء آداء واجب أو إثبات حالة لكنه ليس القيام بواجب العبودية. وحينئذ لا تجد حلاوة الإيمان في قلبك. قالوا لأبي يزيد البسطامي: مالنا نعبد الله ولا نجد لذة العبادة. قال: إنكم عبدتم العبادة ولو عبدتم الله لوجدتم لذة العبادة. وماذا هو معنى أنه عبد العبادة؟ معنى ذلك أنه يصلي كي يقول لنفسه لا لغيره — فحينما يقول لغيره يصبح مرائي — لا بل يقول لنفسه أنه قد صلى أي أنه يصف نفسه بأداء العمل (يقول لنفسه أنا جدع)، وبالتالي نصل إلى درجة تسمى الاعتماد على العمل، أي أنني سوف اعتمد على العمل. وإذا سألته لماذا تصلي فيكون الجواب أنا أصلي كي يدخلني الله الجنة، وبالتالي أصبح للعبادة غرض. وهذا الغرض شخصي. وحتى إذا كان جوابه أنه يصلي لكي يستجيب الله لدعائه فهو غرض شخصي أيضا. فالأصل أن نقول أننا نصلي لأن الله يستحق العبادة حتى لا تصبح عملية شخصية. وحتى لا يقول الواحد أنه سوف يعبد الله لأجل غرض وهذا الغرض من أمثله أن يكرمني في الدنيا وفي الآخرة، أو أن أصبح أمام نفسي رجل محترم أصلي وأصوم ولا أعمل المعاصي. إذن هناك اعتماد على العمل. وإذا سأل شخص يطلب أن يتخلص من هذه الحالة، يقال له: يجب أن يكون لديك مقياس. وسوف نجد دائما ابن عطاء يقوم

بوضع المقاييس لنا لكي نكتشف بها أنفسنا. ولكي نرى هل تم الاقتناع بهذا الكلام وأنه الصلاة المفروض فيها أن نصلي لله حتى نجد حلاوة الإيمان. أي أن السؤال هو: كيف أعرف أنني صليت لله؟ ها هو السؤال. إذن فلا بد من وجود كواشف.. وعند اتباع هذه الكواشف نجدها تكشف لنا حالنا مع الله. فما هي العلامة أو الكواشف أو المعيار أو المقياس أي الشئ الذي سوف اكتشف به. ألا يكون الاعتماد على العمل المذموم أي لا يكون الاعتماد على العمل بل على الله وأن يتم تأدية العمل لله. فقال مَنْ عَلامَةِ الْاعْتِمَادِ عَلَى الْعَمَلِ والاعتماد على العمل هو شئ بغض وناقض نُقْصَانُ الرَّجَاءِ عِنْدَ وُجُودِ الزَّلَلِ . فأنت وقعت في المعصية، وحينما وقعت في المعصية اسودت الدنيا في وجهك، وقلت لا مفر سأدخل النار حتما ولا فائدة. وهناك ناس تسير في هذا الطريق والعياذ بالله وتقول مادمت في النار فلا عمل لا صيام ولا صلاة لأنه لا فائدة فلنترك العمل. فهذه طبيعة الإنسان ولقد سمعنا ورأينا هذا الصنف من الناس يَدَّعِي أن الإنسان لا يمكن أن يخلو عمله من المعصية. قد تكون تلك حقيقة النبي صلى الله عليه وسلم يقول ﴿كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ﴾ لكنه قد حذف الجزء الثاني من الحديث ﴿كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ..﴾ ولذلك ينبغي علينا أن نسير في الخطأ لأن هذه سنة الله فينا. وعند علماء النفس يقول أحد علمائهم – وهو سجموند فرويد وهو يهودى – أن النفس أمارة بالسوء. وقام بتأليف كتب كبيرة في وصف

النفس الأمارة بالسوء. وقلنا نحن أنه لدينا أيضا هذا: ما لدينا هو أن النفس سبع درجات أولها النفس الأمارة بالسوء فلذلك هو لم يصف لنا شيئا جديدا لأننا مؤمنين بهذا. ولكنه يقول إن لديه شيء جديد وهو أن علاج النفس الأمارة بالسوء يكون بأن تستمر في السوء، وتبيع نفسها للسوء حتى تهدأ وحتى تستقيم مع الحياة الدنيا وإلا فسوف يحدث لها اكتئاب. وهنا نتوقف لأنه يوجد اختلاف بيننا وبينه. فطريقه يختلف عن طريقنا. هو في طريق الشيطان ونحن في طريق الرحمن. ما لدينا هو أن النفس كالطفل إن تتركه شَبَّ على حب الرضاع وإن تطفمه ينظم. النفس كلما تعطيها تطلب المزيد ولا ترتاح لأنها تتعب أكثر إلى أن ينتحر الناس. فأكبر نسبة انتحار تجدها فيمن اتبع فرويد. نزل نعطيه نعطيه حتى ينتحر. فهو يزعم أن لديه كل شيء ويتساءل مستنكرا وهل هناك شكل للحياة بعد ذلك! ثم ينتحر. لكن عندنا أن بعد هذه النفس الأمارة بالسوء يصل المرء إلى النفس اللوامة التي تنهاه (تقول له عيب اختشي) وتلومه. والنفس اللوامة تُسَلِّمُهُ إلى النفس المُلْهَمَة، والنفس الملهمة إلى الراضية، والراضية إلى المَرْضِيَّة، والمرضية إلى المطمئنة، والمطمئنة إلى الكاملة. فمن أخبرك يا فرويد أن النفس فقط أمارة بالسوء. نعم إن النفس الأمارة بالسوء موجودة ولكن من أخبرك أن نُسَلِّمُهَا إلى السوء.. النفس نسلّمها إلى ربها.. النفس نُقَوِّمُهَا ونضغط عليها ونجعلها تحت أقدامنا فإذا بها تستقيم وتثبت لأنها مثل الطفل.

وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تَهْمَلُهُ شَبَّ عَلَى حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ
تَفَطَّمَهُ يَنْفَطِمَ

فَحَازِرِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَاعْصِيهِمَا وَإِنْ هُمَا مَحْضَاكَ
الْمُصْحَفَ اتَّهَمَ

وَلَا تُطْعِ مِنْهُمَا خَصْمًا وَلَا حَكَمًا فَأَنْتَ أَعْلَمُ كَيْدَ الْخَصْمِ
وَالْحَكَمِ

فلا تعطى هذه النفس بسهولة ولا تسير وراءها بل يجب أن
تُقَوِّمَهَا مِنْ عِلَامَةِ الْإِعْتِمَادِ عَلَى الْعَمَلِ : نُقْصَانُ الرَّجَاءِ عِنْدَ
وُجُودِ الزَّلَلِ فَأَنْتَ عِنْدَمَا تَقَعُ فِي الْمَعْصِيَةِ تِيَّاسٌ. لَكِنْ نَقُولُ
لَكَ لَا تِيَّاسٌ.. وَثِقْ بِاللَّهِ.. ارْجِعْ.. ثُبِّ.. ﴿ خَيْرُ الْخَطَّائِينَ
التَّوَابُونَ ﴾ .. بَادِرْ بِالْمَغْفِرَةِ.. فِرِّ إِلَى اللَّهِ.. سَارِعْ إِلَى الْمَغْفِرَةِ،
وَهَكَذَا.

هذه هي أول حكمة: مِنْ عِلَامَةِ الْإِعْتِمَادِ عَلَى الْعَمَلِ :
نُقْصَانُ الرَّجَاءِ عِنْدَ وُجُودِ الزَّلَلِ. وما علاقة هذه بلا حول
ولا قوة إلا بالله. إذا تبرأت من حولك وقوتك عرفت أن
العبادة التي جَرَتْ عَلَيْكَ إِنَّمَا هِيَ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ تَوْفِيقِ اللَّهِ،
وَأَنَّهُ لَا شَأْنَ لَكَ إِلَّا أَنَّكَ مَحَلٌّ تَجَلَّى فِعْلُ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ. هل
أنت صليت أصلا يا مجرم! لا، إن الله هو الذي جعلك
تصلي. وذلك يستوجب منك أن تحمد الله سبحانه وتعالى
على أن وفقك إلى الصلاة. إن الله سبحانه وتعالى هو الذي
وفقك للطاعات وهو الذي خلقها عليك وأجراها عليك
فيجب عليك أن تشكره. وعندما تشكره فإنه يجب عليك
أن تشكره أن وفقك لِشُكْرِهِ.. وعندما تشكر شُكْرَهُ يجب

عليك أن تؤمن أن ذلك كله من عند الله، وأنت لا توفيه حقه أبدا. لا يمكن أن تُوفِّيَهُ حَقُّهُ، فكل ما شكرت كل ما احتاج الأمر إلى شكر مزيد. ولذلك يقول ﴿ لَا نُخْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ ﴾ ، أي أنك قد عجزت فتقول لله أنا عجزت أن أحمدك كما ينبغي لجلال وجهك أن يكون. ولذلك أقول لله احمد نفسك، لأنني لو حمدتك لن أوفى فأنا ضعيف ﴿ لَا مَلْجَأَ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ سُبْحَانَكَ لَا أُخْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ ﴾ فماذا يعني هذا؟. هذا يعني أن لا حول ولا قوة إلا بالله. فإذا عرفت هذه الحقيقة وأن ما قدمته من عبادة إنما هو من فضل الله عرفت أنه إذا ما قَصَّرْتَ ووقعت في الزَّلَلِ فلا بد عليك من الرجاء في الله لأن الكل من عند الله. إذن فلا تيأس.. إذن فهذه الحكمة علمتنا أمور:

أولاً أنه لا حول ولا قوة إلا بالله.

ثانياً لا تعتمد على العمل.

ثالثاً اعلم أن ما جرى عليك من الطاعات فيأذن الله ومن الله مما يستوجب مزيد الشكر.

رابعاً إذا وقعت في الزلل فارجوا المغفرة وبادر بالتوبة.

خامساً إذا لم تكن كذلك فاعلم أنك ما زلت في نطاق الاعتماد على العمل ولا بد عليك أن تتخلص من هذه الصفة.

الحكمة الثانية

إِرَادَتُكَ التَّجْرِيدَ مَعَ إِقَامَةِ اللَّهِ إِيَّاكَ فِي الْأَسْبَابِ مِنَ الشَّهْوَةِ
الْخَفِيَّةِ وَإِرَادَتُكَ الْأَسْبَابَ مَعَ إِقَامَةِ اللَّهِ إِيَّاكَ فِي التَّجْرِيدِ
انْحِطَّاطٌ عَنِ الْهَمَّةِ الْعَلِيَّةِ

فهذا وجه آخر من وجوه ذلك الكنز الذي تحت العرش في
لا حول ولا قوة إلا بالله فإن الأمر بيد الله ولا يكون في
كونه إلا ما أراد وهو سبحانه وتعالى لا يزال خالقاً.. ﴿فَعَالٌ
لَمَّا يُرِيدُ﴾ (هود107)، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ
﴿(الأنبياء23)، ﴿بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (المؤمنون88)،
ملكوت السماوات والأرض..بيده الخير سبحانه
وتعالى..وعلى ذلك فلا بد أيها العبد مادمت قد علمت
حقيقة لا حول ولا قوة إلا بالله أن تُسَلِّمَ أمرَك لله وأن
ترضى بقضائه وقدره فيك. إذن إذا أقامك في الأسباب –
والإقامة علامتها الاستقامة فإذا استقامت لك الأسباب فقد
أقامك فيها – فلا تحاول أن تنقل نفسك من كَوْنٍ إلى كَوْنٍ
واجعله هو سبحانه ينقلك. فإذا أردت أنت أن تنقل نفسك
فقد رأيت بنفسك حولا وقوة وقد تقرر أنه لا حول ولا
قوة إلا بالله وبذلك تكون خالفت ما اعتقدت وقلت ما لم
تفعل وفعلت ما لم تقل. والله سبحانه وتعالى يحذرنا من
ذلك التناقض بين القول والعمل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ
تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا
تَفْعَلُونَ﴾ (الصف2-3)، وكبر مقتا معناه أنها كبيرة أن تقول

بلسانك لا حول ولا قوة إلا بالله وأنت كاذبٌ بينك وبين نفسك حيث إنك تريد لنفسك وترى لها حولًا وقوة ولا تستطيع أن تتخلص من حولك وقوتك فتسلم وترضى بأمر الله فيك. فإذا أقامك في الأسباب والإقامة علامتها الاستقامة أي استقامت لك الأسباب فلا بد عليك أن تكون حيثما أمرك الله كَوْنًا أن تكون. فعلى سبيل المثال: يَسَّرَ لك الزواج إذن فلا بد من السعي على الأرزاق. فلو جلست بعد أن أقامك في الزواج ويسره لك واستقام حالك فيه ويزداد ذلك بالولد فلا يجوز لك أن تترك الأسباب وأن تقول لا بد على هذه الأسرة أن تعيش كما أريد فتتقشف وتذهب في الضروري من العيش وأنا سأفعل هذا. فإنه ليس بإرادتك فلقد أقامك الله في الأسباب فكأنه أمرك بها. هل الزواج مباح أم حرام؟ إنه مباح وأنت قد فعلت المباح..يسرة لك أو عكره عليك؟ إنه قد يسره لك. إذن بعد أن نتزوج وننجب نريد أن يتم الطلاق ونقتل الأطفال بسبب أن حدث لي وَجَدَان من بعض ذكر قد ذكرته وأريد أن انخلع بالكلية من التكاليف الشرعية المرعية في الأسرة كي أذهب لأسبح..فيقول الشيخ إِرَادَتُكَ التَّجْرِيدَ مَعَ إِقَامَةِ اللَّهِ إِيَّاكَ فِي الْأَسْبَابِ مِنَ الشَّهْوَةِ الْخَفِيَّةِ . إذن بين لهم أنهم من الداخل غير الخارج..من الباطن غير الظاهر.. (فقال لهم أنت منهم من بره هلا هلا ومن جوه يعلم الله) لأنك لو فهمت من الداخل مُرَادَ اللَّهِ فيك وعرفت أن استقامة الأسباب عليك علامة إقامتك فيها وأنه بذلك لا يجوز لك أن تُخْرِجَ نفسك من الأسباب وإلا

رأيت لنفسك حولاً وقوة بخلاف حول وقوة الله والعياذ بالله
 تعالى لعرفت إن هذا إنما هو من الشهوة الخفية المذمومة
 المُرَدِيَّة وليست من الأمور المرضية. إذن تكون هذه الأحوال
 أحوال نفسانية يعنى أن النفس أمارة بالسوء. وهذه النفس
 الأمارة بالسوء عندما تتسبب في تعبك بعض الشئ تنهرها
 وتسكتها قائلاً: ربنا أقامني في الأسباب لو أراد التجريد
 لأراد. والتجريد صعب مع الأسباب.. وتمنيه مؤلم.. وقالوا
 هذا من الألم لا من الملائمة. أتعرف ما معنى أن يخرجك
 من الأسباب؟ أي يقتل لك زوجتك وأطفالك ﴿ فَأَصَابَتْكُمْ
 مُصِيبَةُ الْمَوْتِ ﴾ (المائدة 106)، والموت مصيبة وليس
 بفرح. فهل سوف تقدر على تحمل التجريد الذي تطلبه أم
 تطلبه مجرد فذلكة وحنشصة؟ فالشيخ ينبهك أنه بلاش
 التنططة مع الله ولكن سر في الطريق خطوة خطوة. قال أريد
 أن أقفز إلى بابك قال له سر في طريقي وإلا كنت عاصياً.
 مثلاً الله يخبرك أن تسير من هنا إلى هناك وهذا المشي
 يحتاج إلى مائة خطوة فتقول لا سوف أقفز فتكون شهوة
 خفية لأنها تخفى ورائها عصياناً كاملاً يأتي من عدم التسليم
 والرضا. إِرَادَتُكَ التَّجْرِيدَ مَعَ إِقَامَةِ اللَّهِ إِيَّاكَ فِي الْأَسْبَابِ مِنَ
 الشَّهْوَةِ الْخَفِيَّةِ. فمثلاً شخص أكرمه الله وأدخله كلية الطب
 فأصبح أستاذاً في كلية الطب وقال أنه يريد أن يترك الوظيفة
 ويعمل بالفقه. هل رأيت قلة الحياء؟ الظاهر أنه يفعل شيئاً
 صالحاً فإنه يطلب الشرع، ولكن الحقيقة أن الله لم يقمه
 هنا. وشخص آخر حفظ القرآن صغيراً وتفقه على جدّه

ودخل أيضا كلية الطب فأصبح من كبار الأطباء ومن كبار الفقهاء فقد أقامه الله في هذا. سبحان الله.. لا إله إلا الله.. وهذا مثل الشيخ أبو اليسر عابدين الذي كان من كبار الجراحين يقول عنه الأطباء: النَّطَاسِيُّ البارِعُ وفي نفس الوقت كان مفتى الشام لأنه أهل علم فهو ابن حفيد صاحب الحاشية الشيخ ابن عابدين الكبير فقد وَجَدَ مكتبة ووجد جده يدرس له ثم عندنا أخذ الثانوية دخل كلية الطب وأصبح من الأوائل إذن أقامك الله في هذا. لكن تحدث لخبطة وتترك التجارة والدنيا وفروض الكفايات من أجل شيء آخر يكون هذا تركك للأسباب، وترك الأسباب جهل. من الذي يجردك؟ إنه الله. مثلا هناك شخص لم ييسر الله له الزواج فلا يوجد إنجاب وأعطى له بُلْغَةً أي إيراد ثابت يستطيع أن يصرف منه على نفسه يتبلغ به لهدفه لمراده في الحياة الدنيا وإذا دخل تجارة فإنه يفشل ويخسر الجلد والسقط أي يخسر كل شيء، والخلاصة أن الله قد أقامه الله فيما أقامه فيه. فإذا كان الله أعطاك الصوت الحسن وأعانك على حفظ القرآن ومديح النبي صلى الله عليه وسلم فما الذي يجعلك تعمل بالطب، إذن لا يشتغل في الطب.. إنه يريد أن يكون جراحا وهو لم يدخل كلية الطب.. لا اترك هذا الموضوع إِرَادَتُكَ التَّجْرِيدَ مَعَ إِقَامَةِ اللَّهِ إِيَّاكَ فِي الْأَسْبَابِ مِنَ الشَّهْوَةِ الْخَفِيَّةِ وَإِرَادَتُكَ الْأَسْبَابَ مَعَ إِقَامَةِ اللَّهِ إِيَّاكَ فِي التَّجْرِيدِ انْحِطَاطٌ عَنِ الْهَمَّةِ الْعَلِيَّةِ وَإِرَادَتِكَ الْأَسْبَابَ أَيِ فَالله خلاك من الأسباب. مثل الملك لديه عبيد: أحدهما قال

له الملك اذهب واعمل واكسب واصرف على نفسك فأنا
أسمح لك بذلك. فقال له حاضر يا سيدي. والثاني قال له
قف هنا تحت قدمي إذا احتجت إليك تخدمني.. أقول لك
أن تحضر لي كوب من الماء أو كوب من الشاي فتكون
معي. فسأله من أين سوف أعيش. فقال له هذا ليس شأنك
بل هو شأني فسوف تأكل معي من أكلى وتشرب من شربي.
فما رأيك في غباء الشخص الذي لم يريد أن يعمل وجلس
في الإسطبل وقال لماذا لا يعمل الآخر. فلا هو اشتغل ولا
رزق ولا أكل ولا شرب شيئا. وما رأيك إذا كان الآخر غبيا
أيضا إذ قال له الملك اجلس هنا فحينما يأتي الغداء فسوف
يتناول مع الملك.. فمن جاور السعيد يسعد. سوف يأكل
شيئا من أكل الملك، ومعلوم أن أكل الملوك مريح وحلو.
إذن الطمع الذي حدث للآخر لم يذهب به إلى طريق بل
جعله في الإسطبل مع البهائم لأنه بهيمة. أما غباء الآخر
فجعله يغيب وكلما أتى الأكل لم يكن موجودا، وكلما تأتي
النعمة يغيب، وكلما يريد أن يأمره الملك لا يجده.. وحين
نسأله لماذا يفعل ذلك؟ فقال أنا أريد أن أعمل وأحقق ذاتي.
وهذا مثل السيدات المعاصرين الموجودين الآن فيقولون أنا
أريد تحقيق ذاتي. فإذا أكرمك الله وأراحك وجعلك مُكْرَمَةً
وجعل اسمك " ست ". وكلمة " ست "، أصلها في اللغة
يأتي من قولهم " ست جهات "، فالرجل يقول لها يا سِتَ
جهاتٍ يعنى يا مَنْ مَلَكَتِ عَلَيَّ ست جهات. وهذا يعنى أنه
عندما يسير في الطريق إذا التفت إلى يمينه فسوف يجدها لا

يستطع مغادرتها وعندما ينظر عن شماله يجدها أيضا وإذا
قال يا رب يجدها فوق وإذا نظر إلى أسفل يجدها موجودة
وكذلك أمامه وخلفه، فأحاطت به من ست جهات. فكان
العرب يقولون لها يا " ست جهات "، وبعد ذلك حذفت
كلمة جهات لكثرة الاستعمال وأصبحت " ست "، فهل
رأيت كل هذا الإكرام. وبعد هذا كله تقول أريد أن أحقق
ذاتي.. انحطاطاً من الهمة العلية. يسكنها ويستتها في البيت
لكنها تريد أن تشعر بذاتها. وَإِرَادَتُكَ الْأَسْبَابَ مَعَ إِقَامَةِ اللَّهِ
إِيَّاكَ فِي التَّجَرُّدِ انْحِطَاطٌ عَنِ الْهَمَّةِ الْعَلِيَّةِ . فخدام الملك
عندما أراد الذهاب في الأسواق ويعمل فإنه مجنون لأن فالله
كفل له العيش والراحة.

الحكمة الثالثة

سَوَابِقُ الْهَمِّ لَا تَخْرِقُ أَسْوَارَ الْأَقْدَارِ

قال رضي الله تعالى عنه سَوَابِقُ الْهَمِّ أي الهمم السوابق
وهذا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف. فماذا يعني
سوابق الهمم؟ هذا يعني الهمم السوابق. فالسوابق هذه صفة
أضيفت إلى موصوفها فعكست بهذا الشكل: سَوَابِقُ الْهَمِّ .
وهذه الهمم السوابق هي لكبار أولياء الله الصالحين. أما
الهمم التي ليست سوابق فهي لهم من باب أولى. فإذا كانت
الهمم القوية العالية التي بينها وبين الله صلة وليس بينها وبين
الله حجاب لَا تَخْرِقُ أَسْوَارَ الْأَقْدَارِ وهذه الأقدار محاطة

بسور حولها فلا تستطيع هذه الهمم خرقها. فالله غالب على أمره ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف 21)، ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ (الأنعام 18)، سبحانه وتعالى أبدا. لا يستطيع أحد من الناس أن يفعل يئا معه ولا من الأكوان أبدا فأمره هو النافذ سبحانه وتعالى. فإذا هذا هو لا حول ولا قوة إلا بالله . وهناك من يُطْلَقُ عليهم أهل التصريف فما هم؟ قالوا إن مراده هو مراد الله، فكأنه يتصرف في الكون وحقيقة الأمر أنه لا يتصرف بل هو مرآة. فهو لا يتصرف حقيقة ولكن يظهر للغير كأنَّ الله يُسَارِعُ في هواه وسيدتنا عائشة رضي الله عنها تقول لسيدنا رسول الله ﷺ ﴿ أَرَى اللَّهَ يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ ﴾ . فكأن الله يسارع في هواه. يريد شيئا معينا فمثلا يكلمك ويقول والله أنا أريد فلانا فنجده حالا داخلا عليه. ومن كلام أهل مصر في كل عصر " تُقْضَى حَوَائِجُهُمْ قَبْلَ أَنْ تُرْفَعَ حَوَائِجُهُمْ " . والحمد لله الذي خلقنا في هذه البقعة المباركة. فقال تقضى حوائجهم من قبل أن ترفع حوائجهم فهذا كلام جميل أوتى به من عند أهل الله. قبل أن يلتفت طرفة عين تجده مراده تحقق. فتقول إن هذا الرجل غريب فإنه لم يدعو الله.. إنه لم يقل اللهم إئتني بفلان.. بل قال والله أريد أن ترسلوا إلى فلان كي يحضر فإذا به يدخل عليهم. ويسألوه عن رأيه في فلان فيقول لا إنه ضعيف في العلم لا يستحق النجاح فتجده يسقط أي يرسب. وهكذا كأنَّ الله يسارع في هواه. فما هذه الحكاية؟ قالوا إن هذا قد وصل إلى مرحلة التسليم التام

والرضا التام فالله سبحانه وتعالى يعطى له من صفاته أي يعكس صفاته عليه. فمن صفات الله أن يقول لشيء كن لكان إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (يس 82)، كن فيكون في الحال. فالله يَمُنُّ عليه بالرضا والتسليم بحيث إنه يكون ما في الكون كما في النفس وما في النفس كما في الكون.. فَسَوَابِقُ هِمَمِهِ أي هِمَمُهُ السَّوَابِقِ لَا تَخْرِقُ أَسْوَارَ الْأَقْدَارِ فسوابق يرى ماذا يريد الله ويفعله.. يرى ماذا يريد الله وينفذه. ولذلك تجد هذه الناس عندما يموت أحد تجده يبكي لكنه ليس حزينا. وبعضهم تجده يبكي وحزين لأن الله أراد منه بموت العزيز أن يبكي فهكذا خلق الله الإنسان، يحزن عندما يفقد عزيز لديه فتدمع عيناه ويحزن قلبه قليلا إنما لله. وعندما يتناول الدواء يأخذه ويذهب لشرائه من الصيدلية لأن الله سبحانه وتعالى لما أَمَرَضَهُ فكأنه أَمَرَهُ أن يذهب للدواء ويعطى النقود للصيدلي فهذا رزقه إلا وكيف يعمل الصيدلي. ويأخذ هذا السبب ويتناوله ولا يخرق أسوار الأقدار سَوَابِقُ الْهَمَمِ لَا تَخْرِقُ أَسْوَارَ الْأَقْدَارِ فهل هذا من فعل المكلف؟ أي لا يحاول أن يخرق أسوار الأقدار ولذلك فقد صار عبدا ربانيا؟ أو أنه فعلا لو حاول أن يخرقها ما انخرقت؟ الجواب هو الحاليتين. لكن لكل منهما درجة فعندك همة وتريدها أن تخرق أسوار الأقدار فتصبح أنت من أبو ثلاثة صاغ فما هي أسوار الأقدار التي ستخرقها، كيف تستطيع أن تغير كون الله؟ لا بل أنت لا ترضى أن تدعو بشئ مخالف للقدر. هل

رأيت. لماذا؟ أي يارب افعل ما شئت فإنني راضٍ. وهذا هو
الشئ العالى. ولذلك قالوا أن هذه الحكمة ذيل الحكمة
الثانية أي كُن راضيا يا أخى وسلم. ولماذا ترضى وتسلم؟
لأنه لا حول ولا قوة إلا بالله فكن واعيا.

الحكمة الرابعة

أَرِحْ نَفْسَكَ مِنَ التَّدْبِيرِ فَمَا قَامَ بِهِ غَيْرُكَ عَنْكَ لَا تَقُمْ بِهِ
لِنَفْسِكَ

والتدبير نوعين: نوع لا يمكننا تركه لأنَّ النبي صلى الله عليه
وسلم دَبَّرَ. وكان يخزن طعام سنة ولا يزيد على سنة فيحضر
لأهله.. لأزواجه رضي الله تعالى عنهن طعام سنة ويقول لهم
قوموا يتخزين ذلك حتى نأكل منها خلال سنة. وانتهى
الحديث هكذا، ولكن عندما تبحث في السيرة فتجد: ﴿ فَلَا
يَبْقَى ذَلِكَ عَنْهُ أَيَّامًا ﴾ ، فهو قام بتخزين سنة لكي يعلمنا
التدبير المحمود. أما الواقع فكان عليه الصلاة والسلام
أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان فلا يأتيه سائل
أو محتاج أو يرى واحد متعب مثلا إلا ويعطيه فلا يبقى عنه
ما خزنه أياما ويعيش على الطوع بعد ذلك.

وَشَدَّ مِنْ صَغَبٍ أَحْشَاءَهُ وَطَوَى
تَحْتَ الْحِجَارَةِ
كَشْحًا مُتَرَفَ الْأَدَمِ.

فهو حسيب نسيب وبطنه رقيقة ليست للكدح وكذا فهذا
شئ لا يصل إليه الملوك فهو سيد الخلق. ومن شدة الجوع

كان يضع صلى الله عليه وآله وسلم الحجارة على بطنه حتى يصبر على الجوع فما معه أعطاه للغير ولم يبق معه شيء. لكنه يعلمنا أننا يمكننا التدبير إلى سنة. ولما خرج إلى أحد خالف بين ذراعيه. يقول لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير تغدو خماسا وتعود بطانا. أي ذاهبة آتية. فهذا التدبير الذي قال لك عنه بأن لا تترك الأسباب لا مانع منه. أما التدبير الذي ينهى عنه فهو الذي يكون وأنت تعمل الأسباب أنك تعتمد عليها. لا تعتمد عليها.. لا تحمل الهم. إذن فالتدبير المنهى عنه هو أن تحمل الهم. فإذا حملت الهم فاعرف أنك ناقص في طريق الله.. إياك وحمل الهم.. ارض وسلم.. ثق بالله.. وإياك وحمل الهم. فإنك إذا حملت الهم إذن لا وجود للتدبير. أرح نفسك من التدبير الذي هو حمل الهم. مثلا تخاف أن يحدث كذا غدا فتكون بالتالي مازلت في الأول ولم تدخل الطريق بعد ولم يُفْتَح الباب بعد. أرح نفسك من التدبير أي أرح نفسك من التعلق والهم إذا ما دبرت. فما قام به غيرك عنك فالله كتب عليك ما سيكون لا تقم به لنفسك فهذه غباوة.

الحكمة الخامسة

اجْتَهِادُكَ فِيمَا ضَمِنَ لَكَ ، وَتَقْصِيرُكَ فِيمَا طَلَبَ مِنْكَ : دَلِيلٌ
عَلَى انْطِمَاسِ الْبَصِيرَةِ مِنْكَ

ثم قال اجْتَهِادُكَ فِيمَا ضَمِنَ لَكَ أي من الأرزاق ومن الصحة..من كل هذا. هذا ليس معناه ألا تأخذ بالأسباب ولكن المطلوب ألا تعتمد عليها. لا تمتنع عن الأخذ بالأسباب أو التدبير ولكن لا تحمل الهم وتتعلق بها وتفرح وتحزن على الموجود والمفقود. اجْتَهِادُكَ فِيمَا ضَمِنَ لَكَ ، وَتَقْصِيرُكَ فِيمَا طُلِبَ مِنْكَ : دَلِيلٌ عَلَى انْطِمَاسِ الْبَصِيرَةِ مِنْكَ فالعين هي الباصرة وهنا في القلب توجد البصيرة. وبصيرة القلب ترى الحقائق كما ترى العين المحسوسات. فلا بد عليك ببصيرة قلبك أن تعلم الحقيقة وهو أن اجتهادك إنما ينبغي أن يكون فيما طُلِبَ مِنْكَ..طُلِبَ مِنْكَ العبادة.. طُلِبَ مِنْكَ العمارة أو طُلِبَ مِنْكَ تزكية النفس إذن عليك بها. ولا يكون اجتهادك فيما ضَمِنَ لَكَ أبدا. وهذه هي حقيقة التوكل..اجتهد فيما طُلِبَ مِنْكَ وَدَعْ عَنْكَ مَا ضَمِنَ لَكَ. اجتهادك فيما ضَمِنَ لَكَ ربنا وتقصيرك فيما طُلِبَ مِنْكَ سبحانه دليل على انطماس البصيرة منك ونعوذ بالله من انطماس البصائر. اللهم يا ربنا نور بصائرنا واغفر ذنوبنا واستر عيوبنا ويسر غيوبنا..اللهم يا ربنا أنزل علينا من خزائن فضلك ومن السكينة ما تثبت به أفئدتنا..اللهم أحيينا مسلمين وأمتنا مسلمين غير خزايا ولا مفتونين..وجازى عنا سيدنا محمد خير ما جزيت نبيا عن أمته..صَلِّ عَلَيْهِ فِي الْأَوَّلِينَ وَصَلِّ عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ وَصَلِّ عَلَيْهِ فِي الْعَالَمِينَ وَسَلِّمْ تسليما كثيرا وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار وأتباعه الأبرار إلى يوم الدين.

الحكمة الأولى

مِنْ عَلَامَةِ الْاعْتِمَادِ عَلَى الْعَمَلِ: نُقْصَانُ الرَّجَاءِ عِنْدَ وُجُودِ
الرَّزْلِ.

أَعْلَنَ العبودية وقال لك أنت عَبْدُ اللَّهِ. إذن فينبغي عليك أن
تفعل العمل مخلصاً لله قال صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ إِنَّمَا
الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ﴾ وقال ﷺ ﴿
ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ
أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ... ﴾ ، وقال ﷺ ﴿ لَا يَبْلُغُ أَحَدُكُمْ
مَبْلَغَ الْإِيمَانِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ
أَجْمَعِينَ ﴾ ، وقال ﷺ ﴿ لَا يَبْلُغُ أَحَدُكُمْ مَبْلَغَ الْإِيمَانِ حَتَّى
يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ ﴾ ، أي أنه لا بد عليك من
إخلاص النية لله وأن تفعل العمل لله. وماذا لو فعلت العمل
للعمل؟ في هذه الحالة فأنت تكون ناسياً لله، ولا تذكره.
فأنت تصلى لأن وقت الصلاة قد أتى لكنك لا تتذكر الله
أصلاً. إذن فالعبادة بدون ذكر الله تتحول إلى عادة. وإذا
سألته لماذا تصلى؟ يقول لك أنا أصلى كل يوم ولا أترك
الصلاة وليعاذ بالله. وهذا شيء جميل وحلو، لكن أين معنى
هذه الصلاة التي قمت بها.. أين نيتها.. أو حالها، يجب أن
يكون لها حال لديك.. يجب أن تعيشها.. وأنت الآن فقط
تقوم بالصلاة كأداء آداء واجب أو إثبات حالة لكنه ليس

القيام بواجب العبودية. وحينئذ لا تجد حلاوة الإيمان في قلبك. قالوا لأبي يزيد البسطامي: مالنا نعبد الله ولا نجد لذة العبادة. قال: إنكم عبدتم العبادة ولو عبدتم الله لوجدتم لذة العبادة. وماذا هو معنى أنه عبد العبادة؟ معنى ذلك أنه يصلي كي يقول لنفسه لا لغيره — فحينما يقول لغيره يصبح مرائي — لا بل يقول لنفسه أنه قد صلى أي أنه يصف نفسه بأداء العمل (يقول لنفسه أنا جدع)، وبالتالي نصل إلى درجة تسمى الاعتماد على العمل، أي أنني سوف اعتمد على العمل. وإذا سألته لماذا تصلي فيكون الجواب أنا أصلي كي يدخلني الله الجنة، وبالتالي أصبح للعبادة غرض. وهذا الغرض شخصي. وحتى إذا كان جوابه أنه يصلي لكي يستجيب الله لدعائه فهو غرض شخصي أيضا. فالأصل أن نقول أننا نصلي لأن الله يستحق العبادة حتى لا تصبح عملية شخصية. وحتى لا يقول الواحد أنه سوف يعبد الله لأجل غرض وهذا الغرض من أمثله أن يكرمني في الدنيا وفي الآخرة، أو أن أصبح أمام نفسي رجل محترم أصلي وأصوم ولا أعمل المعاصي. إذن هناك اعتماد على العمل. وإذا سأل شخص يطلب أن يتخلص من هذه الحالة، يقال له: يجب أن يكون لديك مقياس. وسوف نجد دائما ابن عطاء يقوم بوضع المقاييس لنا لكي نكتشف بها أنفسنا. ولكي نرى هل تم الاقتناع بهذا الكلام وأنه الصلاة المفروض فيها أن نصلي لله حتى نجد حلاوة الإيمان. أي أن السؤال هو: كيف أعرف أنني صليت لله؟ ها هو السؤال. إذن فلا بد من وجود

كواشف..وعند اتباع هذه الكواشف نجدها تكشف لنا حالنا مع الله. فما هي العلامة أو الكواشف أو المعيار أو المقياس أي الشئ الذي سوف اكتشف به. ألا يكون الاعتماد على العمل المذموم أي لا يكون الاعتماد على العمل بل على الله وأن يتم تأدية العمل لله. فقال مِنْ عَلاَمَةِ الْاِعْتِمَادِ عَلَى الْعَمَلِ والاعتماد على العمل هو شئ بغىض وناقص نُقْصَانُ الرَّجَاءِ عِنْدَ وُجُودِ الزَّلَلِ . فأنت وقعت في المعصية، وحينما وقعت في المعصية اسودت الدنيا في وجهك، وقلت لا مفر سأدخل النار حتما ولا فائدة. وهناك ناس تسير في هذا الطريق والعياذ بالله وتقول مادمت في النار فلا عمل لا صيام ولا صلاة لأنه لا فائدة فلنترك العمل. فهذه طبيعة الإنسان ولقد سمعنا ورأينا هذا الصنف من الناس يَدَّعِي أن الإنسان لا يمكن أن يخلو عمله من المعصية. قد تكون تلك حقيقة النبي صلى الله عليه وسلم يقول ﴿كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ﴾ لكنه قد حذف الجزء الثاني من الحديث ﴿كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ..﴾ ولذلك ينبغي علينا أن نسير في الخطأ لأن هذه سنة الله فينا. وعند علماء النفس يقول أحد علمائهم – وهو سجموند فرويد وهو يهودى – أن النفس أمارة بالسوء. وقام بتأليف كتب كبيرة في وصف النفس الأمارة بالسوء. وقلنا نحن أنه لدينا أيضا هذا: ما لدينا هو أن النفس سبع درجات أولها النفس الأمارة بالسوء فلذلك هو لم يصف لنا شيئا جديدا لأننا مؤمنين بهذا. ولكنه يقول إن لديه شئ جديد وهو أن علاج النفس الأمارة

بالسوء يكون بأن تستمر في السوء، وتبيع نفسها للسوء حتى تهدأ وحتى تستقيم مع الحياة الدنيا وإلا فسوف يحدث لها اكتئاب. وهنا نتوقف لأنه يوجد اختلاف بيننا وبينه. فطريقه يختلف عن طريقنا. هو في طريق الشيطان ونحن في طريق الرحمن. ما لدينا هو أن النفس كالطفل إن تركه شَبَّ على حب الرضاع وإن تطفمه ينظم. النفس كلما تعطيها تطلب المزيد ولا ترتاح لأنها تتعب أكثر إلى أن ينتحر الناس. فأكبر نسبة انتحار تجدها فيمنى اتبع فرويد. نذل نعطيه نعطيهِ حتى ينتحر. فهو يزعم أن لديه كل شئ ويتساءل مستكراً وهل هناك شكل للحياة بعد ذلك! ثم ينتحر. لكن عندنا أن بعد هذه النفس الأمانة بالسوء يصل المرء إلى النفس اللوامة التي تنهاه (تقول له عيب اختشى) وتلومه. والنفس اللوامة تُسَلِّمُهُ إلى النفس المُلْهَمَة، والنفس الملهمة إلى الراضية، والراضية إلى المَرْضِيَّة، والمرضية إلى المطمئنة، والمطمئنة إلى الكاملة. فمن أخبرك يا فرويد أن النفس فقط أمانة بالسوء. نعم إن النفس الأمانة بالسوء موجودة ولكن من أخبرك أن نُسَلِّمَهَا إلى السوء.. النفس نسلمها إلى ربها.. النفس نُقَوِّمُهَا ونضغط عليها ونجعلها تحت أقدامنا فإذا بها تستقيم وتثبت لأنها مثل الطفل.

وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تَهْمَلُهُ شَبَّ عَلَى حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ
تَفَطَّمَهُ يَنْفَطِمَ

فَحَازِرِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَاعْصِيهِمَا وَإِنْ هُمَا مَحْضَاكَ
الْمُصْحَفَ اتَّهَمَ

وَلَا تُطْعِ مِنْهُمَا خَصْمًا وَلَا حَكَمًا فَأَنْتَ أَعْلَمُ كَيْدَ الْخَصْمِ
وَالْحَكَمِ

فلا تعطى هذه النفس بسهولة ولا تسير وراءها بل يجب أن
تُقَوِّمَهَا مِنْ عِلَامَةِ الْإِعْتِمَادِ عَلَى الْعَمَلِ : نُقْصَانُ الرَّجَاءِ عِنْدَ
وُجُودِ الزَّلَلِ فَأَنْتَ عِنْدَمَا تَقَعُ فِي الْمَعْصِيَةِ تِيَّاسٌ. لَكِنْ نَقُولُ
لَكَ لَا تِيَّاسٌ.. وَثِقْ بِاللَّهِ.. ارْجِعْ.. ثُبِّ.. ﴿ خَيْرُ الْخَطَّائِينَ
التَّوَابُونَ ﴾ .. بَادِرْ بِالْمَغْفِرَةِ.. فِرِّ إِلَى اللَّهِ.. سَارِعْ إِلَى الْمَغْفِرَةِ،
وَهَكَذَا.

هذه هي أول حكمة: مِنْ عِلَامَةِ الْإِعْتِمَادِ عَلَى الْعَمَلِ :
نُقْصَانُ الرَّجَاءِ عِنْدَ وُجُودِ الزَّلَلِ. وما علاقة هذه بلا حول
ولا قوة إلا بالله. إذا تبرأت من حولك وقوتك عرفت أن
العبادة التي جَرَتْ عَلَيْكَ إِنَّمَا هِيَ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ تَوْفِيقِ اللَّهِ،
وَأَنَّهُ لَا شَأْنَ لَكَ إِلَّا أَنَّكَ مَحَلٌّ تَجَلَّى فِعْلُ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ. هل
أنت صليت أصلاً يا مجرم! لا، إن الله هو الذي جعلك
تصلي. وذلك يستوجب منك أن تحمد الله سبحانه وتعالى
على أن وفقك إلى الصلاة. إن الله سبحانه وتعالى هو الذي
وفقك للطاعات وهو الذي خلقها عليك وأجراها عليك
فيجب عليك أن تشكره. وعندما تشكره فإنه يجب عليك
أن تشكره أن وفقك لِشُكْرِهِ.. وعندما تشكر شُكْرَهُ يجب

عليك أن تؤمن أن ذلك كله من عند الله، وأنت لا توفيه حقه أبدا. لا يمكن أن تُوفِّيَهُ حَقُّهُ، فكل ما شكرت كل ما احتاج الأمر إلى شكر مزيد. ولذلك يقول ﴿ لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ ﴾ ، أي أنك قد عجزت فتقول لله أنا عجزت أن أحمدك كما ينبغي لجلال وجهك أن يكون. ولذلك أقول لله احمد نفسك، لأنني لو حمدتك لن أوفى فأنا ضعيف ﴿ لَا مَلْجَأَ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ سُبْحَانَكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ ﴾ فماذا يعنى هذا؟. هذا يعنى أن لا حول ولا قوة إلا بالله. فإذا عرفت هذه الحقيقة وأن ما قدمته من عبادة إنما هو من فضل الله عرفت أنه إذا ما قَصَّرْتَ ووقعت في الزَّلَلِ فلا بد عليك من الرجاء في الله لأن الكل من عند الله. إذن فلا تيأس.. إذن فهذه الحكمة علمتنا أمور:

أولاً أنه لا حول ولا قوة إلا بالله.

ثانياً لا تعتمد على العمل.

ثالثاً اعلم أن ما جرى عليك من الطاعات فيأذن الله ومن الله مما يستوجب مزيد الشكر.

رابعاً إذا وقعت في الزلل فارجو المغفرة وبادر بالتوبة.

خامساً إذا لم تكن كذلك فاعلم أنك ما زلت في نطاق الاعتماد على العمل ولا بد عليك أن تتخلص من هذه الصفة.

الحكمة الثانية

إِرَادَتُكَ التَّجْرِيدَ مَعَ إِقَامَةِ اللَّهِ إِيَّاكَ فِي الْأَسْبَابِ مِنَ الشَّهْوَةِ
الْخَفِيَّةِ وَإِرَادَتُكَ الْأَسْبَابَ مَعَ إِقَامَةِ اللَّهِ إِيَّاكَ فِي التَّجْرِيدِ
انْحِطَّاطٌ عَنِ الْهَمَّةِ الْعَلِيَّةِ

فهذا وجه آخر من وجوه ذلك الكنز الذي تحت العرش في
لا حول ولا قوة إلا بالله فإن الأمر بيد الله ولا يكون في
كونه إلا ما أراد وهو سبحانه وتعالى لا يزال خالقاً.. ﴿فَعَالٌ
لَمَّا يُرِيدُ﴾ (هود107)، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ
﴿(الأنبياء23)، ﴿بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (المؤمنون88)،
ملكوت السماوات والأرض..بيده الخير سبحانه
وتعالى..وعلى ذلك فلا بد أيها العبد مادمت قد علمت
حقيقة لا حول ولا قوة إلا بالله أن تُسَلِّمَ أمرَك لله وأن
ترضى بقضائه وقدره فيك. إذن إذا أقامك في الأسباب –
والإقامة علامتها الاستقامة فإذا استقامت لك الأسباب فقد
أقامك فيها – فلا تحاول أن تنقل نفسك من كَوْنٍ إلى كَوْنٍ
واجعله هو سبحانه ينقلك. فإذا أردت أنت أن تنقل نفسك
فقد رأيت بنفسك حولا وقوة وقد تقرر أنه لا حول ولا
قوة إلا بالله وبذلك تكون خالفت ما اعتقدت وقلت ما لم
تفعل وفعلت ما لم تقل. والله سبحانه وتعالى يحذرنا من
ذلك التناقض بين القول والعمل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ
تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا
تَفْعَلُونَ﴾ (الصف2-3)، وكبر مقتا معناه أنها كبيرة أن تقول

بلسانك لا حول ولا قوة إلا بالله وأنت كاذبٌ بينك وبين نفسك حيث إنك تريد لنفسك وترى لها حولًا وقوة ولا تستطيع أن تتخلص من حولك وقوتك فتسلم وترضى بأمر الله فيك. فإذا أقامك في الأسباب والإقامة علامتها الاستقامة أي استقامت لك الأسباب فلا بد عليك أن تكون حيثما أمرك الله كَوْنًا أن تكون. فعلى سبيل المثال: يَسَّرَ لك الزواج إذن فلا بد من السعي على الأرزاق. فلو جلست بعد أن أقامك في الزواج ويسره لك واستقام حالك فيه ويزداد ذلك بالولد فلا يجوز لك أن تترك الأسباب وأن تقول لا بد على هذه الأسرة أن تعيش كما أريد فتتقشف وتذهب في الضروري من العيش وأنا سأفعل هذا. فإنه ليس بإرادتك فلقد أقامك الله في الأسباب فكأنه أمرك بها. هل الزواج مباح أم حرام؟ إنه مباح وأنت قد فعلت المباح..يسرة لك أو عكره عليك؟ إنه قد يسره لك. إذن بعد أن نتزوج وننجب نريد أن يتم الطلاق ونقتل الأطفال بسبب أن حدث لي وَجَدَان من بعض ذكر قد ذكرته وأريد أن انخلع بالكلية من التكاليف الشرعية المرعية في الأسرة كي أذهب لأسبح..فيقول الشيخ إِرَادَتُكَ التَّجْرِيدَ مَعَ إِقَامَةِ اللَّهِ إِيَّاكَ فِي الْأَسْبَابِ مِنَ الشَّهْوَةِ الْخَفِيَّةِ . إذن بين لهم أنهم من الداخل غير الخارج..من الباطن غير الظاهر.. (فقال لهم أءنت منهم من بره هلا هلا ومن جوه يعلم الله) لأنك لو فهمت من الداخل مُرَادَ اللَّهِ فيك وعرفت أن استقامة الأسباب عليك علامة إقامتك فيها وأنه بذلك لا يجوز لك أن تُخْرِجَ نفسك من الأسباب وإلا

رأيت لنفسك حولاً وقوة بخلاف حول وقوة الله والعياذ بالله تعالى لعرفت إن هذا إنما هو من الشهوة الخفية المذمومة المُرَدِيَّة وليست من الأمور المرضية. إذن تكون هذه الأحوال أحوال نفسانية يعنى أن النفس أمارة بالسوء. وهذه النفس الأمارة بالسوء عندما تتسبب في تعبك بعض الشئ تنهرها وتسكتها قائلاً: ربنا أقامنى في الأسباب لو أراد التجريد لأراد. والتجريد صعب مع الأسباب.. وتمنيه مؤلم.. وقالوا هذا من الألم لا من الملائمة. أتعرف ما معنى أن يخرجك من الأسباب؟ أي يقتل لك زوجتك وأطفالك ﴿ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ ﴾ (المائدة 106)، والموت مصيبة وليس بفرح. فهل سوف تقدر على تحمل التجريد الذي تطلبه أم تطلبه مجرد فذلكة وحنشصة؟ فالشيخ ينبهك أنه بلاش التنططة مع الله ولكن سر في الطريق خطوة خطوة. قال أريد أن أقفز إلى بابك قال له سر في طريقي وإلا كنت عاصياً. مثلاً الله يخبرك أن تسير من هنا إلى هناك وهذا المشي يحتاج إلى مائة خطوة فتقول لا سوف أقفز فتكون شهوة خفية لأنها تخفى ورائها عصياناً كاملاً ياتى من عدم التسليم والرضا. إِرَادَتُكَ التَّجْرِيدَ مَعَ إِقَامَةِ اللَّهِ إِيَّاكَ فِي الْأَسْبَابِ مِنَ الشَّهْوَةِ الْخَفِيَّةِ. فمثلاً شخص أكرمه الله وأدخله كلية الطب فأصبح أستاذاً في كلية الطب وقال أنه يريد أن يترك الوظيفة ويعمل بالفقه. هل رأيت قلة الحياء؟ الظاهر أنه يفعل شيئاً صالحاً فإنه يطلب الشرع، ولكن الحقيقة أن الله لم يقمه هنا. وشخص آخر حفظ القرآن صغيراً وتفقه على جدّه

ودخل أيضا كلية الطب فأصبح من كبار الأطباء ومن كبار الفقهاء فقد أقامه الله في هذا. سبحان الله.. لا إله إلا الله.. وهذا مثل الشيخ أبو اليسر عابدين الذي كان من كبار الجراحين يقول عنه الأطباء: النَّطَاسِيَّ البارِعَ وفي نفس الوقت كان مفتي الشام لأنه أهل علم فهو ابن حفيد صاحب الحاشية الشيخ ابن عابدين الكبير فقد وَجَدَ مكتبة ووجد جده يدرس له ثم عندنا أخذ الثانوية دخل كلية الطب وأصبح من الأوائل إذن أقامك الله في هذا. لكن تحدث لخبطة وتترك التجارة والدنيا وفروض الكفايات من أجل شيء آخر يكون هذا تركك للأسباب، وترك الأسباب جهل. من الذي يجردك؟ إنه الله. مثلا هناك شخص لم ييسر الله له الزواج فلا يوجد إنجاب وأعطى له بُلْغَةً أي إيراد ثابت يستطيع أن يصرف منه على نفسه يتبلغ به لهدفه لمراده في الحياة الدنيا وإذا دخل تجارة فإنه يفشل ويخسر الجلد والسقط أي يخسر كل شيء، والخلاصة أن الله قد أقامه الله فيما أقامه فيه. فإذا كان الله أعطاك الصوت الحسن وأعانك على حفظ القرآن ومديح النبي صلى الله عليه وسلم فما الذي يجعلك تعمل بالطب، إذن لا يشتغل في الطب.. إنه يريد أن يكون جراحا وهو لم يدخل كلية الطب.. لا اترك هذا الموضوع إِرَادَتُكَ التَّجْرِيدَ مَعَ إِقَامَةِ اللَّهِ إِيَّاكَ فِي الْأَسْبَابِ مِنَ الشَّهْوَةِ الْخَفِيَّةِ وَإِرَادَتُكَ الْأَسْبَابَ مَعَ إِقَامَةِ اللَّهِ إِيَّاكَ فِي التَّجْرِيدِ انْحِطَاطٌ عَنِ الْهَمَّةِ الْعَلِيَّةِ وَإِرَادَتِكَ الْأَسْبَابَ أَيِ فَالله خلاك من الأسباب. مثل الملك لديه عبيد: أحدهما قال

له الملك اذهب واعمل واكسب واصرف على نفسك فأنا
أسمح لك بذلك. فقال له حاضر يا سيدي. والثاني قال له
قف هنا تحت قدمي إذا احتجت إليك تخدمني.. أقول لك
أن تحضر لي كوب من الماء أو كوب من الشاي فتكون
معي. فسأله من أين سوف أعيش. فقال له هذا ليس شأنك
بل هو شأني فسوف تأكل معي من أكلى وتشرب من شربي.
فما رأيك في غباء الشخص الذي لم يريد أن يعمل وجلس
في الإسطنبول وقال لماذا لا يعمل الآخر. فلا هو اشتغل ولا
رزق ولا أكل ولا شرب شيئا. وما رأيك إذا كان الآخر غبيا
أيضا إذ قال له الملك اجلس هنا فحينما يأتي الغداء فسوف
يتناول مع الملك.. فمن جاور السعيد يسعد. سوف يأكل
شيئا من أكل الملك، ومعلوم أن أكل الملوك مريح وحلو.
إذن الطمع الذي حدث للآخر لم يذهب به إلى طريق بل
جعله في الإسطنبول مع البهائم لأنه بهيمة. أما غباء الآخر
فجعله يغيب وكلما أتى الأكل لم يكن موجودا، وكلما تأتي
النعمة يغيب، وكلما يريد أن يأمره الملك لا يجده.. وحين
نسأله لماذا يفعل ذلك؟ فقال أنا أريد أن أعمل وأحقق ذاتي.
وهذا مثل السيدات المعاصرين الموجودين الآن فيقولون أنا
أريد تحقيق ذاتي. فإذا أكرمك الله وأراحك وجعلك مُكْرَمَةً
وجعل اسمك " ست ". وكلمة " ست "، أصلها في اللغة
يأتي من قولهم " ست جهات "، فالرجل يقول لها يا سِتَ
جهاتٍ يعنى يا مَنْ مَلَكَتِ عَلَى ست جهات. وهذا يعنى أنه
عندما يسير في الطريق إذا التفت إلى يمينه فسوف يجدها لا

يستطع مغادرتها وعندما ينظر عن شماله يجدها أيضا وإذا قال يا رب يجدها فوق وإذا نظر إلى أسفل يجدها موجودة وكذلك أمامه وخلفه، فأحاطت به من ست جهات. فكان العرب يقولون لها يا " ست جهات "، وبعد ذلك حذفت كلمة جهات لكثرة الاستعمال وأصبحت " ست "، فهل رأيت كل هذا الإكرام. وبعد هذا كله تقول أريد أن أحقق ذاتي.. انحطاطاً من الهمة العلية. يسكنها ويستتها في البيت لكنها تريد أن تشعر بذاتها. وَإِرَادَتُكَ الْأَسْبَابَ مَعَ إِقَامَةِ اللَّهِ إِيَّاكَ فِي التَّجْرِيدِ انْحِطَاطٌ عَنِ الْهَمَّةِ الْعَلِيَّةِ . فخدام الملك عندما أراد الذهاب في الأسواق ويعمل فإنه مجنون لأن فالله كفل له العيش والراحة.

الحكمة الثالثة

سَوَابِقُ الْهَمِّ لَا تَخْرِقُ أَسْوَارَ الْأَقْدَارِ

قال رضي الله تعالى عنه سَوَابِقُ الْهَمِّ أي الهَمُّ السوابق وهذا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف. فماذا يعني سوابق الهَمِّ؟ هذا يعني الهَمُّ السوابق. فالسوابق هذه صفة أضيفت إلى موصوفها فعكست بهذا الشكل: سَوَابِقُ الْهَمِّ . وهذه الهَمُّ السوابق هي لكبار أولياء الله الصالحين. أما الهَمُّ التي ليست سوابق فهي لهم من باب أولى. فإذا كانت الهَمُّ القوية العالية التي بينها وبين الله صلة وليس بينها وبين الله حجاب لَا تَخْرِقُ أَسْوَارَ الْأَقْدَارِ وهذه الأقدار محاطة

بسور حولها فلا تستطيع هذه الهمم خرقها. فالله غالب على أمره ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف 21)، ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ (الأنعام 18)، سبحانه وتعالى أبدا. لا يستطيع أحد من الناس أن يفعل يئا معه ولا من الأكوان أبدا فأمره هو النافذ سبحانه وتعالى. فإذا هذا هو لا حول ولا قوة إلا بالله . وهناك من يُطْلَقُ عليهم أهل التصريف فما هم؟ قالوا إن مراده هو مراد الله، فكأنه يتصرف في الكون وحقيقة الأمر أنه لا يتصرف بل هو مرآة. فهو لا يتصرف حقيقة ولكن يظهر للغير كَأَنَّ الله يُسَارِعُ في هواه وسيدتنا عائشة رضي الله عنها تقول لسيدنا رسول الله ﷺ ﴿ أَرَى اللَّهَ يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ ﴾ . فكأن الله يسارع في هواه. يريد شيئا معينا فمثلا يكلمك ويقول والله أنا أريد فلانا فنجده حالا داخلا عليه. ومن كلام أهل مصر في كل عصر " تُقْضَى حَوَائِجُهُمْ قَبْلَ أَنْ تُرْفَعَ حَوَائِجُهُمْ " . والحمد لله الذي خلقنا في هذه البقعة المباركة. فقال تقضى حوائجهم من قبل أن ترفع حوائجهم فهذا كلام جميل أوتى به من عند أهل الله. قبل أن يلتفت طرفة عين تجده مراده تحقق. فتقول إن هذا الرجل غريب فإنه لم يدعو الله.. إنه لم يقل اللهم إئتني بفلان.. بل قال والله أريد أن ترسلوا إلى فلان كي يحضر فإذا به يدخل عليهم. ويسألوه عن رأيه في فلان فيقول لا إنه ضعيف في العلم لا يستحق النجاح فتجده يسقط أي يرسب. وهكذا كَأَنَّ الله يسارع في هواه. فما هذه الحكاية؟ قالوا إن هذا قد وصل إلى مرحلة التسليم التام

والرضا التام فالله سبحانه وتعالى يعطى له من صفاته أي يعكس صفاته عليه. فمن صفات الله أن يقول لشيء كن لكان إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (يس 82)، كن فيكون في الحال. فالله يَمُنُّ عليه بالرضا والتسليم بحيث إنه يكون ما في الكون كما في النفس وما في النفس كما في الكون.. فَسَوَابِقُ هِمَمِهِ أي هِمَمُهُ السَّوَابِقِ لَا تَخْرِقُ أَسْوَارَ الْأَقْدَارِ فسوابق يرى ماذا يريد الله ويفعله.. يرى ماذا يريد الله وينفذه. ولذلك تجد هذه الناس عندما يموت أحد تجده يبكي لكنه ليس حزينا. وبعضهم تجده يبكي وحزين لأن الله أراد منه بموت العزيز أن يبكي فهكذا خلق الله الإنسان، يحزن عندما يفقد عزيز لديه فتدمع عيناه ويحزن قلبه قليلا إنما لله. وعندما يتناول الدواء يأخذه ويذهب لشرائه من الصيدلية لأن الله سبحانه وتعالى لما أَمَرَضَهُ فكأنه أَمَرَهُ أن يذهب للدواء ويعطى النقود للصيدلي فهذا رزقه إلا وكيف يعمل الصيدلي. ويأخذ هذا السبب ويتناوله ولا يخرق أسوار الأقدار سَوَابِقُ الهِمَمِ لَا تَخْرِقُ أَسْوَارَ الْأَقْدَارِ فهل هذا من فعل المكلف؟ أي لا يحاول أن يخرق أسوار الأقدار ولذلك فقد صار عبدا ربانيا؟ أو أنه فعلا لو حاول أن يخرقها ما انخرقت؟ الجواب هو الحاليتين. لكن لكل منهما درجة فعندك همة وتريدها أن تخرق أسوار الأقدار فتصبح أنت من أبو ثلاثة صاغ فما هي أسوار الأقدار التي ستخرقها، كيف تستطيع أن تغير كون الله؟ لا بل أنت لا ترضى أن تدعو بشئ مخالف للقدر. هل

رأيت. لماذا؟ أي يارب افعل ما شئت فإنني راضٍ. وهذا هو
الشئ العالى. ولذلك قالوا أن هذه الحكمة ذيل الحكمة
الثانية أي كُن راضيا يا أخى وسلم. ولماذا ترضى وتسلم؟
لأنه لا حول ولا قوة إلا بالله فكن واعيا.

الحكمة الرابعة

أَرِحْ نَفْسَكَ مِنَ التَّدْبِيرِ فَمَا قَامَ بِهِ غَيْرُكَ عَنْكَ لَا تَقُمْ بِهِ
لِنَفْسِكَ

والتدبير نوعين: نوع لا يمكننا تركه لأنّ النبي صلى الله عليه
وسلم دبّر. وكان يخزن طعام سنة ولا يزيد على سنة فيحضر
لأهله.. لأزواجه رضي الله تعالى عنهن طعام سنة ويقول لهم
قوموا يتخزين ذلك حتى نأكل منها خلال سنة. وانتهى
الحديث هكذا، ولكن عندما تبحث في السيرة فتجد: ﴿ فَلَا
يَبْقَى ذَلِكَ عَنْهُ أَيَّامًا ﴾ ، فهو قام بتخزين سنة لكي يعلمنا
التدبير المحمود. أما الواقع فكان عليه الصلاة والسلام
أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان فلا يأتيه سائل
أو محتاج أو يرى واحد متعب مثلاً إلا ويعطيه فلا يبقى عنه
ما خزنه أياما ويعيش على الطوع بعد ذلك.

وَشَدَّ مِنْ صَغَبٍ أَحْشَاءَهُ وَطَوَى
تَحْتَ الْحِجَارَةِ
كَشْحًا مُتَرَفَ الْأَدَمِ.

فهو حسيب نسيب وبطنه رقيقة ليست للكدح وكذا فهذا
شئ لا يصل إليه الملوك فهو سيد الخلق. ومن شدة الجوع

كان يضع صلى الله عليه وآله وسلم الحجارة على بطنه حتى يصبر على الجوع فما معه أعطاه للغير ولم يبق معه شيء. لكنه يعلمنا أننا يمكننا التدبير إلى سنة. ولما خرج إلى أحد خالف بين ذراعيه. يقول لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير تغدو خماسا وتعود بطانا. أي ذاهبة آتية. فهذا التدبير الذي قال لك عنه بأن لا تترك الأسباب لا مانع منه. أما التدبير الذي ينهى عنه فهو الذي يكون وأنت تعمل الأسباب أنك تعتمد عليها. لا تعتمد عليها.. لا تحمل الهم. إذن فالتدبير المنهى عنه هو أن تحمل الهم. فإذا حملت الهم فاعرف أنك ناقص في طريق الله.. فإياك وحمل الهم.. ارض وسلم.. ثق بالله.. وإياك وحمل الهم. فإنك إذا حملت الهم إذن لا وجود للتدبير. أرح نفسك من التدبير الذي هو حمل الهم. مثلا تخاف أن يحدث كذا غدا فتكون بالتالي مازلت في الأول ولم تدخل الطريق بعد ولم يُفْتَح الباب بعد. أرح نفسك من التدبير أي أرح نفسك من التعلق والهم إذا ما دبرت. فما قام به غيرك عنك فالله كتب عليك ما سيكون لا تقم به لنفسك فهذه غباوة.

الحكمة الخامسة

اجْتَهِادُكَ فِيمَا ضَمِنَ لَكَ ، وَتَقْصِيرُكَ فِيمَا طَلَبَ مِنْكَ : دَلِيلٌ
عَلَى انْطِمَاسِ الْبَصِيرَةِ مِنْكَ

ثم قال اجْتَهِادُكَ فِيمَا ضَمِنَ لَكَ أي من الأرزاق ومن الصحة..من كل هذا. هذا ليس معناه ألا تأخذ بالأسباب ولكن المطلوب ألا تعتمد عليها. لا تمتنع عن الأخذ بالأسباب أو التدبير ولكن لا تحمل الهم وتتعلق بها وتفرح وتحزن على الموجود والمفقود. اجْتَهِادُكَ فِيمَا ضَمِنَ لَكَ ، وَتَقْصِيرُكَ فِيمَا طُلِبَ مِنْكَ : دَلِيلٌ عَلَى انْطِمَاسِ الْبَصِيرَةِ مِنْكَ فالعين هي الباصرة وهنا في القلب توجد البصيرة. وبصيرة القلب ترى الحقائق كما ترى العين المحسوسات. فلا بد عليك ببصيرة قلبك أن تعلم الحقيقة وهو أن اجتهادك إنما ينبغي أن يكون فيما طُلِبَ مِنْكَ..طُلِبَ مِنْكَ العبادة.. طُلِبَ مِنْكَ العمارة أو طُلِبَ مِنْكَ تزكية النفس إذن عليك بها. ولا يكون اجتهادك فيما ضَمِنَ لَكَ أبدا. وهذه هي حقيقة التوكل..اجتهد فيما طُلِبَ مِنْكَ وَدَعْ عَنْكَ مَا ضَمِنَ لَكَ. اجتهادك فيما ضَمِنَ لَكَ ربنا وتقصيرك فيما طُلِبَ مِنْكَ سبحانه دليل على انطماس البصيرة منك ونعوذ بالله من انطماس البصائر. اللهم يا ربنا نور بصائرنا واغفر ذنوبنا واستر عيوبنا ويسر غيوبنا..اللهم يا ربنا أنزل علينا من خزائن فضلك ومن السكينة ما تثبت به أفئدتنا..اللهم أحيينا مسلمين وأمتنا مسلمين غير خزايا ولا مفتونين..وجازى عنا سيدنا محمد خير ما جزيت نبيا عن أمته..صَلِّ عَلَيْهِ فِي الْأَوَّلِينَ وَصَلِّ عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ وَصَلِّ عَلَيْهِ فِي الْعَالَمِينَ وَسَلِّمْ تسليما كثيرا وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار وأتباعه الأبرار إلى يوم الدين.

الحكمة السادسة

لَا يَكُنْ تَأَخَّرُ أَمَدِ الْعَطَاءِ مَعَ الْإِلْحَاحِ فِي الدُّعَاءِ مُوجِبًا
لِيَأْسِكَ: فَهُوَ ضَمِنَ لَكَ الْإِجَابَةَ فِيمَا يَخْتَارُهُ لَكَ، لَا فِيمَا
تَخْتَارُهُ لِنَفْسِكَ، وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي يُرِيدُ، لَا فِي الْوَقْتِ
الَّذِي تُرِيدُ

أي لا حول ولا قوة إلا بالله. أي كن مؤدبا مع الله ومن فضل
الأدب مع الله الرضا بما قسمه الله والتسليم بما أجراه الله
سبحانه وتعالى عليك في الكون. ولذلك إذا أردت الدعاء
وأردت الالتجاء فافعل ذلك عبادة وليس تشوفا للدنيا،
واسأل من الله سبحانه وتعالى خيري الدنيا والآخرة، فهو
مالك السماوات والأرض، ومالك الدنيا ومالك الآخرة،
مالك يوم الدين سبحانه وتعالى. فالالتماء إلى الله وحده ولا
يكون مقصودك إلا الله. ولا تتعلق بالزمان ولا بالمكان ولا
بالأشخاص ولا بالأحوال ولا تلتفت إلى ما سواه (وخلى
قلبك من السّوى) واجعل مقصودك الأعظم هو الله سبحانه
وتعالى والتجئ إليه. هذا الدعاء إما أن يستجيب لك فيه
فورا، وإما أن يؤجله فيستجيب بعد مدة، وإما أن يدخره لك
عبادة وثوابا يوم القيامة. إذن الدعاء خير كله، استجيب أو
لم يستجِب، لأنك لا تدري أين الخير؟ ولا تدري الغيب؟ ولا
تدري ما هو أصلح لك؟. الذي يعلم ذلك كله هو الله

سبحانه وتعالى لا إله إلا هو ولا حول ولا قوة إلا بالله.
يُعَلِّمُكَ الأدب مع الله في أمور:

الأمر الأول: إذا ما دَعَوْتَ الله تدعوهُ عبادةً، لا تدعوهُ
سبحانه وتعالى تشوفا وطلبا للدنيا، إنما ادعوه عبادة والنبي
صلى الله عليه وآله وسلم يقول ﴿الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ﴾
في حديث أبي هريرة ؓ وهذا حديث صحيح أخرجه
الأربعة. وفي حديث آخر أقل صحة لكنه صحيحا أيضا لكنه
أقل سنداً يقول ﴿الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ﴾ ، هل ترون الفرق؟.
الدعاء مخ العبادة يعنى أنه أعلى شئ في العبادة، أما الأول
الدعاء هو العبادة: وهذا يعنى أن الصلاة دعاء، والزكاة
دعاء، والحج دعاء، والصيام دعاء. الدعاء هو العبادة أي
حقيقة العبادة هذه الصلة التي بينك وبين الله تعالى. وهناك
بعض الناس عندما تدعوا ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي
الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ (البقرة 200)، يقولون: يا مولانا اجعل
ابنى من الناجحين.. الشيك الذي علينا يتم سداده.. القضية
الموجودة اجعلهم يتنازلون عنها.. كله دنيا.. لا أحد منهم
طلب أبدا وقال ودعا الله أن يفتح عليه فتوح العارفين به.. أو
يدع الله أن يعلمه الأدب معه.. أو يدع الله أن يشفع فينا نبيه
يوم القيامة.. أو يدع الله أن يدخلنا الجنة من غير حساب ولا
سابقة عقاب ولا عتاب.. يدع الله أن يعلى درجته يوم
القيامة.. يدع الله أن يستر عيوبه وأن يغفر ذنبه.. يدع الله أن
يمتتنا بالنظر إلى وجهه الكريم. وهنا طلب الحضور من

مولانا الشيخ الأستاذ الدكتور على جمعة الدعاء لهم
وللمسلمين فَلَئِي فضيلته وقال:

اللهم استجب.. لمن حضر ولمن غاب.. ولأحيائنا وأمواتنا.. اللهم
إنا في حاجة إلى رحمتك ولست في حاجة إلى مؤاخذتنا فاعف
عنا.. واستر عيوبنا.. وارحم زلتنا.. واقبل توبتنا.. إنك على كل شيء
قدير.. يا حلیم.. يا الله.. يا الله.. يا الله.. وهذا من بركة سيدي ابن
عطاء.. نقرأ كتابه فنذكر الله وترق قلوبنا لذكره! ما هذا الفضل!
إنه الآن يحصل الثواب لما ترك من بعده من نصيحة للمسلمين،
وذلك من إخلاص نيته.. نور الله بذلك قلبه. فكان منورا رضي
الله تعالى عنه وأرضاه. وضريحه هنا في سفح المقطم يُزار عليه من
الأنوار وجلائل الأسرار مالا يخف على عارف.

قال يعلمنا الأدب مع الله لَا يَكُنْ تَأَخَّرَ أَمَدِ الْعَطَاءِ ، قمت
بالدعاء ولم يستجب لك.. لا تدع شيء يحدث في قلبك من
تبرم.. من إستخار.. من قولك وماذا بعد ذلك.. لا داعي لقلة
الأدب مع الله.. كن جميلا.. كن راضيا، وعليك أن تقول
وتلوم نفسك ماذا كنت فاعلا بنفسي.. لقد كنت على وشك
أن أضيع.. لقد كنت أدعو بشيء لا أعلم ما الذي كان سوف
يترتب عليه.. الله وحده هو الذي يعلم ما الذي كان سياتر
عليها.. يا لطيف، سبحانه يا كريم. لَا يَكُنْ تَأَخَّرَ أَمَدِ الْعَطَاءِ
مَعَ الْإِلْحَاحِ فِي الدُّعَاءِ مُوجِبًا لِيَأْسِكَ ، لأنه ﴿ لَا يَيْأَسُ مِنْ
رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (يوسف 87)، ونعوذ بالله من
ذلك. ونحن قد من الله علينا بسيد الخلق وبالإيمان به صلى
الله عليه وآله وسلم فانتقلنا من الظلمات إلى النور ومن

الكفر إلى الإيمان ومن الضلالة إلى الهدى. فالحمد لله الذي منحنا ذلك من غير حول منا ولا قوة، إنما هو محض توفيق من الله وهداية من الله. فكانت الصحابة تقول " ما أنعم الله على بنعمة بعد نعمة الإسلام " فلا يوجد شيء أكبر من نعمة الإسلام يا إخواني: لا مال ولا جاه ولا صحة ولا كذا إلى آخره. فيعدد نعم الله عليه لكن بعد نعمة الإسلام. فلقد هدانا الله وجعلنا من المؤمنين فلا تيأس لأن اليأس من صفات الكافرين. إذن ماذا علينا أن نفعل؟ نفهم أن الأدب مع الله يقتضى الفهم. إذن أول شيء يعلمه لنا أنك إذا دعوت فادع عبادة. وذلك يعنى ألا تجعل قلبك متعلق بالمطلوب. ادعه وكأنك تقول يا رب افعل لي كذا إن شئت هذا هو معناها افعل لي كذا بإرادتك وقوتك وحولك متى شئت وأنى شئت.. اللهم اصرف عنا السوء بما شئت وكيف شئت وأنى شئت. اللهم إن لم يكن بك على غضب فلا أبالي. "فانظر كلام سيد المرسلين مع ربه". فهو يعلمنا الأدب، فأول شيء الدعاء عبادة.

الأمر الثاني: والثانية بعد ما صرفت قلبك عن المطلوب وجعلت المطلوب هو الله وليس الغرض الذي تدعو فيه سواء دنيوى أو أخروى فجعلت المطلوب هو الله فلا تيأس مع الإلحاح في الدعاء من تأخر المدد فإن المدد من الله. فَهُوَ ضَمِنَ لَكَ الإِجَابَةَ فِيمَا يَخْتَارُهُ لَكَ، لا يكون في كونه إلا ما أراد لا فيما تختاره لنفسك فأنت لا تعرف شيء. فهذا تَبَرَّى من الحول والقوة وخروج من حولك وقوتك إلى حول الله

وقوته فهذا هو ثقة بالله وثقة مما في يد الله أعظم مما في يدك وفي تدبير الله أعظم من تدبيرك. إذن فهو يعلمنا كل هذه المعاني أن الدعاء عبادة وأنا نخرج من حولنا وقوتنا إلى حول الله وقوته وأن نثق بما في يد الله أكثر مما نثق بما عندنا وألا يتطرق إلينا اليأس لأن اليأس من صفات الكافرين ونحن مؤمنون والحمد لله رب العالمين.

سبحانه.. فإذا ما سلمت هذا التسليم كنت مَجَلَى أي مرآة. فالمرآة مَجَلَى للصور، تقف أمامها فتظهر فيها صورتك فتسمى المرآة مجلى، أي تتجلى فيها صورتك. فقلبك أنت سوف يكون مجلى لإرادة الله. يااااااه إنك سوف تصبح شيئاً كبيراً جداً، فأنت يا فِئْل سوف تكون عبدا ربانيا ويصبح قلبك مجلى لإرادة الله. هل يكون هذا فجأة؟ نعم! بالتسليم والرضا. لما سَلَّمْت وتوكلت ورضيت عن الله يرضى الله عنك، وتصبح مجلى أنوار الله سبحانه وتعالى. ويكون قلبك كالمرآة ينعكس فيها إرادة الله في كونه فتكون عبدا ربانيا تقل للشئ كن فيكون. هل هذا من إرادتك؟ وهل لك إرادة أصلاً؟ لا.. إنما أنت عَدَم.. فأنت مجلى.. فأنت ليس لك إرادة.. ولا تقل للشئ كن فيكون وأنت ليست بشئ أصلاً.. فأنت عدم. إذن فما هو الذي حصل؟ الذي حصل هو أنك خلصت نفسك من الحماقة والرعونات وخليت قلبك من الرغبات والشهوات وجعلته لله يرضى برضى الله ولا يتحرك إلا بإذنه فينعكس عليه إرادة الرب سبحانه وتعالى فيصير قلبك مجلى لصفات الله. وإذا صار كذلك كنت عبدا

ربانيا..عبدا منسوبا إلى الرب لا إلى الشيطان ولا إلى الهوى
ولا إلى النفس الأمارة بالسوء ولا إلى الدنيا. ﴿ تَعَسَ عَبْدُ
الْقَطِيفَةِ..تَعَسَ عَبْدُ الدِّينَارِ ﴾ ، وهل يوجد عبد للقטיפه أو
عبد للدينار؟ نعم فهو الذي جعل نفسه هكذا. ﴿ أَرَأَيْتَ مَنْ
اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ (الفرقان43)، فهناك ناس تتخذ الشيطان
إلها..الهوى إلها..الدنيا إلها..القטיפه..الدرهم..فهذا ما قاله
رسول الله صلى الله عليه وسلم . لَا فِي الْوَقْتِ الَّذِي تُرِيدُ
فيكون هذا حول وقوة أم تبرى من الحول والقوة؟ بالطبع
يكون تبرى من الحول والقوة.

الحكمة السابعة

لَا يُشَكِّكَ فِي الْوَعْدِ عَدَمُ وَقُوعِ الْمَوْعُودِ وَإِنْ تَعَيَّنَ زَمَنُهُ
لِّئَلَّا يَكُونَ ذَلِكَ قَدْحًا فِي بَصِيرَتِكَ، وَإِخْمَادًا لِنُورِ سَرِيرَتِكَ

فالإنسان يلتجئ إلى الله ولكنه لا يعرف أين الخير. ولو علم
الغيب لاستكثر من الخير وما مسه السوء. ولو علم أن
الخير هو ما أراده الله ما طلب.
لَا يُشَكِّكَ فِي الْوَعْدِ عَدَمُ وَقُوعِ الْمَوْعُودِ بِهِ وَإِنْ تَعَيَّنَ زَمَنُهُ
لِّئَلَّا يَكُونَ ذَلِكَ قَدْحًا فِي بَصِيرَتِكَ، وهو العين الذي ترى بها
القلب حقائق الأمور. فهناك بصر نرى به المحسوسات
وتوجد بصيرة نرى بها الحقائق وتنزل عليها الأنوار وتنعكس
على الحقائق فيرى الأسرار وتنكشف له. حقيقة أن الله على
كل شيء قدير يمكن أن تفهمها بعقلك ولكن وقتها سوف

تحسها بقلبك.. حقيقة أن الله خالق كل شيء حقيقة أنت تفهمها بعقلك، ولكن وقتها سوف تراها بقلبك. إذن فيوجد فرق بين فهم العقل وما بين رؤية الأمر ومشاهدته بعين البصيرة. فاحذر من غلق بصيرتك وتغميض عينك، وإحذر أن تفقأ بصيرتك فتصير أعمى البصيرة لأن لا يوجد لها حل. وَإِخْمَادًا لِنُورِ سَرِيرَتِكَ، فهناك أنوار بالداخل. وأنت عندما تضيء الغرفة ترى الأشياء التي بها ولكن عندما تظلمها فإنك لا ترى شيئاً. فلو أنطفأ نور بصيرتك بداخل قلبك إذن لن ترى شيء. إذن احترس! حتى لو حدث أن فات الزمن. لماذا؟ لأن الأمر عبادة.

وكان أحد مشايخنا يسير مع واحد من الناس الذين لا يفهمون ومعهم شخص ثالث، فمروا على رجل من أهل البصيرة فقال للثالث "إن الله سوف يرزقك بولد"، فلما خرجوا من عند الشيخ قال العارف هذه بشرى، وقال الجاهل هذا دجال، فما الذي يجعله يعلم الغيب، أما الرجل الثالث فلقد تردد بينهم أي هل سوف يرزقه الله بالولد أم لا؟ وبعد ذلك كبر الرجل في السن ولم يظهر الولد أي جاء وقته "تَعَيَّنَ زَمَنُهُ" ولا يوجد ولد. وبعد ذلك قال الجاهل للعارف "انظر لم يأت الولد. فقال له: هل فهمت كلام الشيخ أم لا؟ قال له: لقد قال ولد يعنى سوف يأتيه ولد، ولكنه لم يأت. إذن الشيخ دجال. فمات الشيخ ومات أيضا الرجل الذي كان سوف يأتيه الولد ولم يأت له ولد بالفعل، فقال الجاهل للعارف: هاهو الرجل قد مات ولم يأت له ولد

أو بنت. فقال له: هل فهمت كلام الشيخ؟ إذن يوجد قلب
منفتح يرى بنور الله ويفهم الكلام على حقيقته. فمعنى
يرزقك الله بالولد لا يفهمه الجاهل. فهل قال له أن الله
سوف يرزقك الولد في الدنيا، أم أنك إن صبرت على حالك
يرزقك الله بالولد في الآخرة. ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ
مُّخَلَّدُونَ﴾ (الواقعة 17)، هل نستطيع أن نرى الفرق بين
الاثنيين؟ لقد أصبح أغلبنا جاهل من هذا النوع، لا نريد أن
نفتح على أنفسنا الأبواب، ولا نريد أن نفهم ما وراء
السطور، متربسين مثل المسامير فيها، وهذا لن يصل بك
إلى مراد الله. إن الله سبحانه وتعالى فتح لك الأبواب وكشف
لك الأسرار وأنزل لك الأنوار فلا تغلق الباب على نفسك.
فقال له تأمل في الكلام يرزقك الله الولد، وهل قال له إن
ذلك يكون في الدنيا. فقال له: لماذا لم تقل ذلك وهو على
قيد الحياة. فقال له: لأن الكلام محتمل. أما الآن فقد
تأكدت من معنى كلام الشيخ. فمعنى كلام الشيخ يرزقك الله
الولد في الآخرة وعندما كان حيا فمن الممكن أن يكون
ذلك في الدنيا أو في الآخرة، فإن رزقه في الدنيا كان بها
وإن لم يرزقه في الدنيا ففي الآخرة يكون. انظر إلى الجمال
والحلاوة التي فيها تصحيح كلام الناس وانظر إلى الجهالة
التي فيها اتهام الناس بالباطل والزور. هذا هو تسرع الجهلة
وهذا هو نور الناس الطيبين.

وهنا دخل على الشيخ طفل صغير في يده قلم ومسطرة
أعطاهم للشيخ ودار الحوار الآتي بينهما:

ما هذا يا محمد؟ ماذا أفعل بهما يا محمد؟ فأشار الطفل إلى الشيخ أن يكتب بهما في الكتاب الذي يقوم بالشرح منه. فرد الشيخ عليه: ولكن هذا كتاب يا محمد وليس كراسة. فأصر الطفل، فأخذ الشيخ القلم والمسطرة منه ووضعهما على المنضدة بجواره وقال للطفل: شكرا لك. فعلق أحد تلاميذ الشيخ الحاضرون قائلا: هذا إذن من عند الله يا مولانا. فقال الشيخ على الفور: مدد! ونحن لم نتعرض ولم نَرِدَ الطفل بل سألناه ووافقنا. وهذه إشارة لمن يفهم، فلقد أحضر محمد قلم ومسطرة. المسطرة تدل على الصراط المستقيم، والقلم يدل على أن ما جرى وما كتب فإنه سيكون، ولا يكون في كونه إلا ما أراد وهذا هو الصراط المستقيم. وهذا هو ما قاله لنا الطفل محمد الآن: قلم ومسطرة. أي آمن بالله وامشى على الصراط المستقيم. هذا ما أنت مكلف به. وماذا تفهم أيضا من ذلك من عند الله؟ تفهم أن الله سبحانه وتعالى قد خَطَّ بالقلم ما كان وما يكون وأن الإيمان بذلك إنما هو الصراط المستقيم.

الحكمة الثامنة

إِذَا فَتَحَ لَكَ وَجْهَةً مِنَ التَّعَرُّفِ: فَلَا تُبَالِ مَعَهَا إِنْ قَلَّ عَمَلُكَ : فَإِنَّهُ مَا فَتَحَهَا لَكَ إِلَّا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَتَعَرَّفَ إِلَيْكَ : أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ التَّعَرُّفَ هُوَ مُورِدُهُ عَلَيْكَ ، وَالْأَعْمَالُ أَنْتَ مُهْدِيهَا إِلَيْهِ؟ وَأَيْنَ مَا تُهْدِيهِ إِلَيْهِ مِمَّا هُوَ مُورِدُهُ عَلَيْكَ؟

إِذَا فَتَحَ لَكَ وَجْهَةً مِنَ التَّعَرُّفِ أَيِ جَاءَ قَلَمٌ وَمَسْطَرَةٌ، وَفَتَحَ لَكَ شَيْءٌ كَهَذَا. نَعَمْ إِذَا فَتَحَ لَكَ وَجْهَةً مِنَ التَّعَرُّفِ: فَلَا تُبَالٍ مَعَهَا إِنْ قَلَّ عَمَلُكَ وَهَذِهِ بَشْرَى لَكُمْ أَيِ أَنْ الْحِكَايَةَ لَيْسَتْ بِكَثْرَةِ الْأَعْمَالِ. إِنْ الْأَعْمَالُ مَهْمَةٌ جَدًّا، وَكَثْرَةُ الْأَعْمَالِ تُرَقِّقُ الْقَلْبَ مِثْلَ قِيَامِ اللَّيْلِ وَكَثْرَةِ الذِّكْرِ وَاللَّهْثِ بِهِ. ﴿ لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ، وَالْمَحَافِظَةُ عَلَى الْفَرَائِضِ وَالصَّلَوَاتِ وَالصِّيَامِ وَكَذَا، وَالْإِكْثَارُ مِنَ النَّوَافِلِ مِنْ شَأْنِ الْمُرْسَلِينَ قَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَا غَفَرَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ. وَكَانَ أَجُودَ النَّاسِ وَكَانَ أَجُودَ مَا يَكُونُ وَكَانَ أَجُودَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، وَكَانَ يَدْخُرُ طَعَامَ سَنَةٍ فَلَا يَبْقَى عِنْدَهُ إِلَّا أَيَّامٌ. عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. لَكِنْ ﴿ مَا سَبَقَكُمْ أَبُو بَكْرٍ بِكَثْرَةِ صَلَاةٍ أَوْ صِيَامٍ.. إِنَّمَا سَبَقَكُمْ بِشَيْءٍ وَقَرَّ فِي قَلْبِهِ ﴾ ، إِذَنْ مَا فِي الْقَلْبِ هُوَ الْأَسَاسُ، وَحِينَمَا نَقُولُ أَنَّهُ الْأَسَاسُ هَذَا لَا يَعْنِي أَنَّ الْأَعْمَالَ يُمْكِنُ التَّفْرِيطُ فِيهِ، لَا بَلْ نَحْنُ فِي أَشَدِّ الْحَاجَةِ إِلَى كَثْرَةِ الْأَعْمَالِ. إِنَّمَا مَعَ كَثْرَةِ الْأَعْمَالِ لَيْسَتْ هِيَ الْمَرَادُ الْأَوَّلُ، بَلْ هِيَ الْمَرَادُ الثَّانِي. هِيَ مَرَادٌ، وَالْمَرَادُ الثَّانِي. فَنَحْنُ نؤكد عَلَى الْأَعْمَالِ تَأَكِيدًا شَدِيدًا وَلَا تَنْسَ هَذِهِ، وَنَحْنُ نَقُولُ بِأَهْمِيَةِ شُعُورَاتِ الْقَلْبِ، لِأَنَّهَا الْأَسَاسُ وَلَا نَقُلُ مِنْ أَهْمِيَةِ الْعَمَلِ. فَإِنَّهُ مَا فَتَحَهَا لَكَ إِلَّا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَتَعَرَّفَ إِلَيْكَ ، وَلِذَلِكَ قَالَ: اللَّهُ اللَّهُمَّ افْتَحْ عَلَيْنَا فَتُوحَ الْعَارِفِينَ بِكَ.. اللَّهُمَّ افْتَحْ عَلَيْنَا وَعَلِمْنَا الْأَدَبَ مَعَكَ.. اللَّهُمَّ افْتَحْ عَلَيْنَا مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِكَ.. وَأَنْزِلِ السَّكِينَةَ عَلَى قُلُوبِنَا. وَمَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ كُلُّهُ أَنَّهُ مَا دَامَ

استجاب لك وفتح فإنه أراد أن يتعرف إليك. لأنه حينما يأتيك يريد تعرف أن أحدا أرسله وتقرأ من أرسله. إذن كل هذه النعم الذي أرسلها هو الله. أَلَمْ تَعْرِفْ أَنَّ التَّعَرُّفَ هُوَ مُورِدُهُ عَلَيْكَ ، هذه النعمة هو موردها عليك. وماذا عن أعمالك أنت؟ وَالْأَعْمَالُ أَنْتَ مُهْدِيهَا إِلَيْهِ؟ وَأَيْنَ مَا تَهْدِيهِ إِلَيْهِ مِمَّا هُوَ مُورِدُهُ عَلَيْكَ؟. أعمالك هذه عبارة عن حاجات تقوم بتقديمها.. امتحان تؤديه.. أجبت صواب أم خطأ.. هل تستحق امتياز أم جيد جدا أم جيد أم مقبول أم أنت راسب. لست أدري إنما الذي يعرف هو الْمُقَوِّمُ الذي سوف يقوم بالتصحيح. حسنا أعطاك الشهادة. وهذه الشهادة أتستطيع أن تناقش فيها وتقول نعم أو لا. بالطبع لا تستطيع الاعتراض فالشهادة قد أتت. وإن كان هذا هو الكلام في مراتب الدنيا ما بين الطالب والأستاذ، فما بالك بين المخلوق والخالق سبحانه جل جلاله لا مثيل له. نذكر هذا لضرب مثال لأنه بضرب المثال يتضح الحال. ولكن رب العالمين أعطاك هدية، وَأَنْتَ قَدَّمْتَ شَيْءَ فَمَا قَدَمْتَهُ مَحَلْ نَظَرٍ لِلْقَبُولِ وَالرَّفْضِ.. للتقويم، لكن ما أورده هو عليك من فتح ليس محل نظر إنما هو نعمة محضة وفضل محض.. ولذلك لا تغتر بعملك.. واشكر الله سبحانه وتعالى على ما مَنَّ عَلَيْكَ من فضله العميم ونعمته العليا وَمِنَّتَهُ الْكُبْرَى حَتَّى إِذَا مَا وَصَلَ الْأَمْرَ إِلَى فَتْحٍ يَعْلَمُكَ الْأَدَبُ مَعَهُ وَالْأَدَبُ فِي طَرِيقِهِ فَارْحَتْ بِهِ. فينبغي عليك أن تفرح.

الحكمة التاسعة

تَنَوَّعَتْ أَجْنَاسُ الْأَعْمَالِ ، لَتَنَوَّعَ وَارِدَاتِ الْأَحْوَالِ

فالله سبحانه وتعالى شرع لنا صلاة ثم شرع لنا صيام وأمرنا بالزكاة وأمرنا بالحج..أمرنا بالذكر..بالتلاوة..بالدعاء، بالامتناع عن الفواحش وبفعل الخيرات..بالفروض بالنوافل. تنوعت الأعمال. لماذا؟ لأن كل عمل له وَارِدٌ..له جائزة..له فتح..إذن فالله سبحانه وتعالى أعطاك دليل العمل الذي تستطيع به أن تتوصل إليه وتتوصل إليه سبحانه وتعالى. لأنه سوف يفتح عليك بصلاتك أنواعا من الفتوح ويورد على قلبك أنواعا من الخواطر والإيرادات والأحوال بخلاف ما يوردها عليك وأنت صائم، وبخلاف ما ينزله عليك من أنوار وكشف للأسرار وتنقية للحال وأنت حاج أو معتمر، وبخلاف ما تَشْعُرُ به من لذة وأنت متصدق أو مزكى. حتى وأنت تقبل الزكاة لأن قبول الزكاة فرض كأدائها حتى قال الشافعية: يُقَاتَلُ عليها من امتنع عن قبضها. فمثلا إنسانا فقيرا أعطيه زكاة ورفض فَيُقَاتَلُ. أرايتم العزة..أي أن الفقير وهو يأخذ مني فإنه لا يأخذ مني مِنَّةٌ لا بل يأخذ مني فَرَضٌ عَلَيَّ وعليه يعنى لاجود للمنة بل فيها مطالبة وليس مطالبة فقط فإنه لو امتنع تعففا فالشرع لا يقبل منه هذا التعفف بهذه الصيغة ويقول له أتريد أن تُبْطِلَ مُرَادَ الله في شرعه أراد الله أن يأخذ المال من الأغنياء فيرده على الفقراء فيصرف الفقير فَيُحَرِّكَ السوق. يشتري مأكلا ومشربا فالبائع سيستفيد وملبس ومسكن ومركب فالناس تستفيد والسوق يشتغل. لكن إذا كان هو ممتنع ولا يريد أن يأكل ولا يشرب فمن أين تأكل الناس وأنا سوف أضع الزكاة

وأجنبها ولن أقوم بصرفها لأنها ليست ملكي. إذن فأنت عطلت حركة المجتمع. إذن هناك عِزَّة..أي أن الموضوع ليس متعلقا بوجود الغنى والفقير وفوق وتحت إنما الموضوع هنا متعلق بمراد الله من شرعه ومراد الله من خلقه.

الحكمة العاشرة

الأَعْمَالُ: صُورٌ قَائِمَةٌ. وَأَرْوَاحُهَا: وُجُودٌ سِرٌّ الْإِخْلَاصِ فِيهَا

قال رحمه الله تعالى الأَعْمَالُ: صُورٌ قَائِمَةٌ ، مثل هذه الزجاجة – زجاجة ماء – فإنها صورة قائمة لكنها تحتوى ماء من الداخل وَأَرْوَاحُهَا: وُجُودٌ سِرٌّ الْإِخْلَاصِ فيها، والماء هو الذي يروى. فهل الذي يروى هو الأعمال أم الإخلاص. بالطبع هو الإخلاص. فلا يوجد ماء دون زجاجة لأنها تضيع في الأرض..ومن الممكن وجود زجاجة بدون ماء لكن قيمتها ضئيلة مثلا ثلاثة قروش لكن مع احتوائها على الماء قيمتها تزيد جدا قد تصل إلى مليون جنيه حينما تكون في حاجة إليها. ظمآن تريد الشرب وتريد أن تنقذ نفسك من الموت فسوف تدفع المليون فيها فإن لها منفعة. لكن الزجاجة منفعتها تابعة لكي تحفظ. إذن هي مهمة..غاية في الأهمية..ولكنها ليست هي المقصودة..بالرغم من أنها في غاية الأهمية إلا أن المقصود والأهم هو الماء الذي في داخلها. الذي يحدث الرّىّ أو الشّبع عند الإنسان الماء والطعام. لكن ليس الإناء فهو لا يحدث الرى. فإذا علينا

أَنْ نَفْهَمَ هَذَا الْمَعْنَى الْجَلِيلَ الَّذِي يَقُولُ أَنَّ الْأَعْمَالَ: صُورٌ قَائِمَةٌ. وَأَرْوَاحُهَا: وَجُودُ سِرِّ الْإِخْلَاصِ فِيهَا، إِذَنْ لَا بَدَّ عَلَيْكَ مِنَ الْأَعْمَالِ وَلَا بَدَّ عَلَيْكَ أَيْضًا أَنْ تَضَعَ فِيهَا سِرَّ الْإِخْلَاصِ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ﴿٢﴾. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَى وَأَعْلَمُ.

الحكمة الحادية عشر

ادْفِنْ وَجُودَكَ فِي أَرْضِ الْخُمُولِ: فَمَا نَبَتْ مِمَّا لَمْ يُدْفَنْ لَأَ
يَتِمَّ نَتَاجُهُ

اَذْفِنْ وَجُودَكَ فِي اَرْضِ الْخُمُولِ ، البذرة عندما تدفنها في الأرض وتُحَسِّنُ دَفْنَهَا ثم يأتيها الرِّيّ بالماء تنبت وينتج منها نتاج وثمره ووزرع، لكن لو أنها كانت على الأرض غير مدفونة تدوسها الأقدام أو تذرّوها الرياح أو يأتي الماء فبدلاً من أن يطعمها ويسقيها يأخذها ويجرفها. ولذلك إذا أردنا أن نَصِلَ إلى حصول الثمرة فلا بد من أن تَدْفِنَ نفسك، أي تجعل نفسك تحت رجليك. في اَرْضِ الْخُمُولِ : الخمول ضد الشهرة وليس ضد النشاط. لأن ضد النشاط هو الكسل. ولقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ﴿ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ﴾. لأنه يريد أن يَنْشِطَ في عبادة الله، ويريد أن يكون صاحب همة فيها. والعابد لا يقصر نفسه على

الخمول الذي بمعنى الكسل. فالناس تفهم الخمول بمعنى الكسل، ولكن هذا ليس بصحيح فالخمول ضد الظهور، أما الكسل فهو ضد النشاط. فهل قال : ادفن نفسك أو ادفن وجودك في أرض الكسل؟ لا، وهل الكسل عسل؟ لا. اذْفِنْ وَجُودَكَ فِي أَرْضِ الْخُمُولِ. يقال هذا رجل تقى خفى. إذا طُلِبَ لَمْ يُوجَدْ وإذا غَابَ لَمْ يُذَكَّرْ، فلا يسأل عليه أحد، ولا يهتم به أحد. هذا هو الخمول: البعد عن مرءات الناس وعن التصدر بغير حق وعن أن تظهر هكذا فجأة وتنسب إلى نفسك ما ليس لك. والخمول هو أن تفعل الشئ وتنشط ولكن لله..مخلصا لله..لا تريد من أحد جزاء ولا شكورا. إذا دفنت وجودك في أرض الخمول وجدت ثمرة ذلك في قلبك. وسيدنا الشيخ بن عطاء يقول لنا هنا الخطوات التي نتخذها حتى نصل إلى السير في طريق الله سبحانه وتعالى. فأول شئ هو إخفاء الأعمال، أي الدخول في أرض الخمول. هذا هو أول شئ وحتى تطمئن قلبك أن ما تفعله صحيح وحتى تعلم علامة صحته فإنه عَلَّلَهُ لَكَ وَسَبَّهَ وبين ما الذي سيترتب عليه. فقال فَمَا نَبَتَ مِمَّا لَمْ يُدْفَنُ لَا يَتِمُّ نِتَاجُهُ : البذرة التي على وجه الأرض ذهبت..ضاعت، لكن البذرة التي قمنا بدفنها في الأرض الطيبة تنبت سبع سنابل وكل سنبله فيها مائة حبة، والله يضاعف لمن يشاء.

الحكمة الثانية عشر

مَا نَفَعَ الْقَلْبَ : مِثْلُ عُزْلَةٍ يَدْخُلُ بِهَا مَيِّدَانِ فِكْرَةٍ

قال رضي الله تعالى عنه: مَا نَفَعَ الْقَلْبَ شَيْءٌ: مِثْلُ عُزْلَةٍ فَقَدْ
قال لك عن الخمول وعن عدم الظهور وابتعد عن الناس ولا
ترأى وحرر هذا في خمولٍ وليس في كسل. إذا هناك نشاط،
وهذا ما نوضحه لمن يقرأ بدون فهم ويتهم أهل الله بأنه من
أهل الكسل. وكيف ذلك، وقد استعاذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم من العجز ومن الكسل. فالكسل هذا شيء بغض.
أما الخمول فهو عدم الظهور..عدم التستر..عدم مراعاة
الناس. إذا تعمل على عزل نفسك. والعزلة نوعان: عزلة
بالجسد، وعزلة بالقلب. العزلة بالقلب سموها الخلوة في
الجلوة أي خلوتك في جلوتك. ومعنى في جلوتك أي أن
تكون جالسا أمام الناس أو في وسطهم كما نجلس الآن،
وهذه هي الجلوة. وفي نفس الوقت تجد قلبك في شغل مع
الله، وهذه هي الخلوة. وأحيانا تكون الخلوة بالجسد أي أن
أجلس في مكان مغلق معزول، وأعتزل الناس. والمراد من
ذلك هو أن أقوم بإعادة شحن البطارية الخاصة بي. لن
أعتزل بصفة دائمة، فقد كان صلى الله عليه وسلم يتحنث
في غار حراء الليالي ذوات العدد أي ليس بصفة دائمة، ثم
ينزل لأهله فيتزود ولم يمنعه ذلك من التجارة ومن السعي
ومن النشاط في الحياة الدنيا. فهناك خلوة مثل خلوة غار
حراء، وهناك خلوة في الجلوة. وفي الحديث ﴿ أَحَبُّ

الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَةَ الْحَدِيثِ قَالُوا وَمَا سُبْحَةُ الْحَدِيثِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الرَّجُلُ يُسَبِّحُ وَالنَّاسُ يَتَكَلَّمُونَ ﴿١﴾ ، قَلْبُهُ معلق بالله لدرجة أنه بالرغم من كونه ظاهر في وسطهم إلا أن قلبه في خلوة. مَا نَفَعَ الْقَلْبَ شَيْءٌ: مِثْلُ عَزْلَةٍ يَدْخُلُ بِهَا مَيِّدَانِ فِكْرَةٍ. وكما ذكرنا قبل ذلك قلنا - ونحن في منازل السائرين - أن التفكير هو من أهم علامات الطريق إلى الله. ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٣﴾ (آل عمران 191) . فهو جالس يفكر في الكون ويفكر في خالقه. لا يفكر في ذاته، فإن الفكر في الذات إشراك. لكن يفكر في آلائه وآثاره ونعمه وأوامره ونواهيهِ ومآلات عبيده في الدنيا. فلا بد عليك حتى تستطيع أن تدفن وجودك في أرض الخمول أن تبدأ في دخول قلبك عزلة يستجم فيها من التعلق بالناس وبالأشياء وبالأشخاص وبالأفكار. وَيَسْبَحُ مع الله في كونه تهيئة لسلوك الطريق إليه. إذا فها هو يعطينا الخطوات: ادفن نفسك في أرض الخمول، وكأن أحدهم سأل كيف؟ قال اعزل قلبك، وهذه هي الخطوة التي أستطيع بها دفن نفسي ووجودي في أرض الخمول.

الحكمة الثالثة عشر

كَيْفَ يُشْرِقُ قَلْبُ صَوْرِ الْأَكْوَانِ مُنْطَبِعَةً فِي مِرَاتِهِ؟ أَمْ كَيْفَ
يَرْحَلُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُكَبَّلٌ بِشَهَوَاتِهِ؟ أَمْ كَيْفَ يَطْمَعُ أَنْ يَدْخُلَ
حَضْرَةَ اللَّهِ وَهُوَ لَمْ يَتَطَهَّرْ مِنْ جَنَابَةِ غَفَلَاتِهِ؟ أَمْ كَيْفَ يَرْجُو أَنْ
يَفْهَمَ دَقَائِقَ الْأَسْرَارِ وَهُوَ لَمْ يَتُبْ مِنْ هَفَوَاتِهِ؟

قال رضي الله تعالى عنه ونفعنا الله بعلومه في الدراين آمين
كيف يشرق قلب فإذا بواحد يسأل ولماذا؟ لماذا نعتزل؟ كي
ندفن نفسنا في أرض الخمول كي ننتج. فماذا سوف يحدث
إذن؟ فقال له: قلبك سوف يصير مرآة للأنوار. كل حكمة
تجاوب على الخطوة التي سوف تفعلها من الحكمة التي
سبقتها. فيقول: كيف يشرق قلب: وهذا يعني أنك لو نفذت
ما قلت لك فإن قلبك سوف يشرق بالأنوار. ولكن لو قمنا
بدهان المرأة دهانا أزرق اللون وأصبحت معتمة تنظر إليها
فلا ترى فيها وجهك لأن صقلها ذهب بهذا الدهان. وهكذا
تفعل أنت بقلبك حينما تقوم بإدخال الدنيا فيه وتجعل مرآة
القلب عاجزة عن أن تعكس أي شيء، ولا يُشْرِقُ فيها شيء.
حتى لو نزل النور فيها فيكون نورا باهتا تشعر بحرارته فقط
ولا تشعر بضياءه ولا نوره ولا تفجره. كَيْفَ يُشْرِقُ قَلْبُ صَوْرِ
الْأَكْوَانِ مُنْطَبِعَةً فِي مِرَاتِهِ؟ (مرآة القلب) أَمْ كَيْفَ يَرْحَلُ إِلَى
اللَّهِ وَهُوَ مُكَبَّلٌ بِشَهَوَاتِهِ؟ . فهو مُقَيَّدٌ متسلسل بسلاسل من
حديد في هذه الاسطوانة ونحن نطلب منه أن يسير. ألقاه
في اليم مكتوفا وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء، فهل يطيعه

كيف يطيعه وهو قد ألقى به في الماء. وذلك مثل إنسان ألقى بآخر من شاهق (شاهق كمنارة بالمسجد) كأننا صعدنا إلى أعلى وألقينا واحدا من أعلى، وفي أثناء سقوطه بجاذبية الأرض قال من ألقاه له: اصعد إلينا بدلا من سقوطك. إلى أين يصعد، وكيف؟ فنظر له وقال يا ظالم وكيف أصعد؟ أنا أسقط وأهوى على جذور رقبتى الآن. فانظر ماذا أنت فاعل بنفسك عندما تسلسل نفسك بالشهوات. وبعد ذلك تقوم بالادعاء بأنك تريد الذهاب إلى الله. إن الله لا يحب الشريك. فإما أن تختار الشهوات وإما أن تختار الله. اختر! فإذا لم تختار فستكون متناقضا مع نفسك وغير صادق، والله يحب الصادق. كَيْفَ يُشْرِقُ قَلْبُ صَوْرِ الْأَكْوَانِ مُنْطَبِعَةً فِي مِرَاتِهِ؟ واعلم أن كلمة طَبَعَ فيها نوع من أنواع النجاسة. انظر..أرأيت التعبير..مُنْطَبِعَةً.. أي كأن القلب متنجس. ولذلك عندما دخلت الآلة الطباعة **Printer** ، أخبروا المشايخ بها حتى يعطوا لها اسما بالعربية، وقالوا لهم هناك شئ ورد لنا من الغَرْبِ يُدْعَى **Printer** ، وهى شئ من جلد الخنزير عبارة عن اسطوانة، وهذه الاسطوانة تلف على ورق وتحتوى على حبر والحبر يحتوى على حروف ويحدث نسخ. فلم يطلقوا عليها أو يسموها ناسخة ولكن لأنها من الخنزير فقالوا إذن هي مَطْبَعَةٌ فجاءت كلمة مطبعة فكلمة مطبعة جاءت من النجاسة ومن هذا التنجيس. وأنا لا أدري بالفعل هل كانت الاسطوانة من جلد الخنزير أم لا لكن هم قد أخبروا المشايخ بذلك. أخبروا المشايخ وأهل اللغة فى

حينه أن هذه نجسة فقالوا إذا تُسمَّى "مطبعة" أي "منجسة" وشاعت الكلمة بالرغم من أن هناك كلمات في اللغة العربية تعطي معنى أنها تقوم بعمل نُسخ من الكتاب الواحد اسمها ناسخة مثلاً. ولكن اختاروا هذه الكلمة على قدر ما قد عُلِّمُوهُ. وشاعت بعد ذلك وَتَنَاسَوْا الناس هذه الكلمة. وعندما جاء موضوع التطبيع مع إسرائيل إذا فهو تنجيس، فقالوا نعم أي والله لقد اخترتم الكلمة المناسبة: التطبيع وهو التنجيس. ولذلك فالشعب المصرى لديه حالة من القرف من هذه الحكاية لأن الشعب المصرى نزيه فأصبح عنده قرف. لماذا؟ لأن النجاسة شئ بغيض له رائحة بغیضة فكذلك العلاقة مع اليهود لها رائحة بغیضة. ففعلاً هذا تطبيع، ونحن موافقون على هذا: أي على الاسم أنه تطبيع أي تنجيس. فانظر إلى الشيخ رضي الله تعالى عنه اختار الكلمة التي فيها مردود النجاسة منطبعة. كَيْفَ يُشْرِقُ قَلْبُ صُورِ الْأَكْوَانِ مُنْطَبِعَةً فِي مِرَاتِهِ؟ لَأَنَّهُ مُلَطَّخٌ بِالنَّجَاسَةِ. أَمْ كَيْفَ يَرْحَلُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُكَبَّلٌ بِشَهَوَاتِهِ؟ أَمْ كَيْفَ يَطْمَعُ أَنْ يَدْخُلَ حَضْرَةَ اللَّهِ وَهُوَ لَمْ يَتَطَهَّرْ مِنْ جَنَابَةِ غَفَلَاتِهِ؟ لم يتطهر من جنابة غفلاته نلاحظ منها أن الغفلة تحدث له جنابه. فالذى لديه جنابة هل تجوز له الصلاة؟ لا يجوز، بل يجب أن يغتسل كي يزيل الحدث المانع من الصلاة. فكذلك لابد عليك أن تتطهر في عالم الروح. عالم الجسد معروف وفيه أن اغتسل بالماء ويبتل جسمي بالماء. ولكن في عالم الروح أخبرني أنه يحب أن أتطهر من غفلاتي. فهناك فجوات في القلب لأنه أحياناً

يتعلق بالدنيا وبعد ذلك يعود إلى الله، وهكذا. وبعد ذلك عليك بالتوبة من هذه الغفلات، وهذه التوبة هي اغتسالك الروحي. أَمْ كَيْفَ يَرْجُو أَنْ يَفْهَمَ دَقَائِقَ الْأَسْرَارِ وَهُوَ لَمْ يَتُبْ مِنْ هَفَوَاتِهِ؟ فهناك أنوار وهناك أسرار. وهذا قلبٌ خالٍ من النور ومن السر. فما هي هذه الأسرار؟ هذه الأسرار هي تعلم الأدب مع الله. فهذا سرٌّ لأن لو عرفته تستقيم، ولو عرفته تشعر بالراحة، ولو عرفته تفرح، ولو عرفته تجد نفسك ترشد الخلق حتى في كلامك. فحينما تتكلم بكلامك يصل إلى القلوب. فما هي الحكاية؟ الحكاية هي أنك عرفت السر. فما هو هذا السر؟ هذا هو السر فنحن نقول أسراراً الآن. ولكن كيف نقولها هكذا أمام الناس وهي أسرار. نعم فهل هذا السر يعلمه أحد؟ فنحن ستة مليارات نسمة على الكرة الأرضية فهل وصل هذه الكلام إلى علم أحد؟ فهذا الكلام كنز وسر نتعلمه نحن الآن. فأين هذه الأسرار؟ هذه هي الأسرار. فنحن نتعلم أن الغفلة تعمل جنابة روحية فهذا سر والشيخ سطره لنا هنا رضي الله تعالى عنه. ولكي تنطلق فإنه يجب أن تفك قيودك الروحية. والقيود هي الشهوات. وهذه أيضاً سر. فهل هناك أحد على علم بذلك؟ أَمْ كَيْفَ يَرْجُو أَنْ يَفْهَمَ دَقَائِقَ الْأَسْرَارِ وَهُوَ لَمْ يَتُبْ مِنْ هَفَوَاتِهِ؟ إذا فأنت تريدني أن أكون صاحب همة. نعم! إذا فلماذا قلنا خمول؟ فالخمول بمعنى الظهور والرياء والمراعاة والتصدر بغير حق. وليس الخمول بمعنى الكسل وضد النشاط.

الحكمة الرابعة عشر

الكَوْنُ كُلُّهُ ظُلْمَةٌ وَإِنَّمَا أَنَارَهُ ظُهُورُ الْحَقِّ فِيهِ. فَمَنْ رَأَى الْكَوْنَ
ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده فَقَدْ أَعْوَزَهُ وَجُودُ
الأنوار، وَحُجِبَتْ عَنْهُ شُمُوسُ الْمَعَارِفِ بِسُحُبِ الْآثَارِ.

الكون كله ظلمة لأنه حجاب. ومن هو المحجوب هو أنت،
لأن الكون لا يحيط بربك سبحان وتعالى ربنا خارج الزمان
والمكان فهو يحيط بكل شيء ولا يحيط به شيء سبحانه.
الكَوْنُ كُلُّهُ ظُلْمَةٌ وَإِنَّمَا أَنَارَهُ ظُهُورُ الْحَقِّ فِيهِ. فأصل الخلق
السكون، وأصل الخلق الظلمة، ثم الحركة عارضة، والنور
عارض عليه. فالمادة الأولى للكون أصلها ظلمة وبعد ذلك
يشرح الله سبحانه وتعالى صدر من أراد ويفجر الأنوار في
قلب من أراد. فإذا ظهر الحق سبحانه وتعالى - والحق اسم
من أسمائه تعالى - فإنه ينير ما حوله من الأكوان. وَإِنَّمَا أَنَارَهُ
ظُهُورُ الْحَقِّ فِيهِ وَإِنَّمَا أَنَارَهُ ظُهُورُ الْحَقِّ فِيهِ. فإذا أنت نسيت
الله أصبح الكون أمامك بدون الله، أي بدونك في قلبك،
بدون الله في نفسك وروحك، من غير الله في عقلك
ووجدانك، من غير الله في عملك. يا اياه فإن الحكاية سوف
تكون ظلام شديد. وأحد كبار الملاحدة واسمه هكسيلي
عندما تقدم في السن، عرف هذا الموضوع، لأنه توجد فطرة
الله التي خلقها داخل الإنسان. فقال: الله ضرورة اجتماعية
يعنى أن الدنيا سوداء مظلمة بدون الله فلذلك يجب أن نقول
إن هناك الله على اعتقاده الفاسد الكاسد الملحد حتى لو لم

يكن هناك الله. هل رأيت العتولية الموجودة فيه ومع ذلك لم يسلم أو يؤمن أو يفعل شئ فهو كافر ولقد مات كافرا. ولكن هل رأيت كيف قهره الله وجعله ينطق بشعور غريب: أنه رأى ظلمة الكون حيث لا يوجد فيها الله. فعندما استمر يقول لا وجود لله الدنيا أظلمت الدنيا في وجهه فقال بأن نقول هناك الله حتى لو كان ذلك خداعا لأنفسنا، فالله ضرورة اجتماعية. ونحن نقول له يا مغفل إن الله أظهر من الأكوان. فما هذا العمى في القلب؟ ألم تره يا ولد يا هكسيلي؟ الله أظهر من هذه التفاهات التي حولنا. ولذلك قالوا للعارفين: أقم الدليل على وجود الله قال له أقم الدليل على عدم وجوده فهل يحتاج هذا إلى دليل؟ ولا يصح في الأذهان شئ إذا احتاج النهار إلى دليل. أي أن هناك نهار وأنا أسألك أن تثبت وجود نهار، فما هذا؟ هذا عبث. فهذا شمس في رابعة النهار وتساألني بأن أثبت وجود النهار، فما هذا؟ تقول له مباشرة نهارك مش فايت لأن التخاطب سقط مع مثل هذا. ولا يصح في الأذهان شئ إذا احتاج النهار إلى دليل. قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد¹ فهناك رمد مصاب به أي عندما تقول أنا لا أرى والدنيا مظلمة في وجهي ونحن نهارا. فإذا أنت المخطئ. وينكر الفم طعم الماء من سقم. إذن فأنت مريض فعندما تجد طعم الماء مرا في فمك فأنت مصاب بالأنفلونزا لكن الماء ليس مرا فأنا أشربه وغيرى يشربه وكلنا نشربه سليما. أنت هو من يشربها وأنت غير متلذذ بطعمها. إذن

¹ هذا بيت شعر للإمام البوصيري: قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

هناك أشياء لا تحتاج إلى دليل من ضمنها الدليل على وجود الله. لا الأصل هو هل وجدت دليل على عدم وجود؟ فالله أظهر من الكائنات. الكون كله ظلمة وإنما أناره ظهور الحق فيه فمن رأى الكون ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده فقد أعوزه وجود الأنوار، وحجبت عنه شمس المعارف بسحب الآثار. والآثار وهى الحوائط والأرض والسماء والناس والكون الذي حولنا، هذه هي الآثار التي جعلت هناك غبار على قلب أعمى. هذا القلب الأعمى لا يرى شيئاً من وراء الغبار. وهناك قاعدة مهمة:

فُقْدَانِ الْوُجْدَانِ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ فَقْدُ الْوُجُودِ.

أي أنت إذا كنت لا ترى فهذا معناه أنه غير موجود؟ أبداً فقدان الوجدان أي لا أجد وجدان ولم أعرف هذا الموضوع ولم أره أي مثلاً لم أذهب لندن هل يعنى هذا أنه لا وجود للندن أو واحد لم يذهب للحج في مكة هل يعنى هذا عدم وجود كعبة؟ فلا يقول بذلك عاقل فإذا كنت أنت لم تر فسلم لأقوام رأوه بالأبصار. نعم سلم لأنك لم تر لعجز فيك ونقص قائم بك. هل رأيت الكلام وتدبرته. ونحن نتكلم قبل وصولنا للحكمة التالية فنقول سلم وأنه موجود بالرغم من عدم رؤيتك له إلا أنه موجود، أول درجة تشعر بأنه موجود. اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك. ولنقل أنك لا تستطيع أن تحس أو تشعر بهذه الاحساسات الكبيرة التي لديكم، لكنه موجود.. هكذا تقول.. ابدأ خطوة. وكأنه يراك

متحيراً فماذا يخبرك؟ يشعر أنك حيران فيريد أن يطمئن قلبك، فيقول:

الحكمة الخامسة عشر

مما يَدُلُّكَ عَلَى وُجُودِ قَهْرِهِ سُبْحَانَهُ: أَنَّ حَاجَبَكَ عَنْهُ، بما
لَيْسَ بِمَوْجُودٍ مَعَهُ.

هذا الكون كله فان، فهو هذا شريط سينمائي. فهو لا شئ مع وجود الله. وجود الله لا أول له، وهذا الكون له أول. وجود الله قائم بذاته، وهذا الكون قائم به تعالى. وجود الله لا نهاية له، وهذا الكون له نهاية ويفنى. وجود الله سبحانه وتعالى واحد أحد، وهذا الكون متعدد. وجود الله لا يطرأ عليه فساد، وهذا الكون يطرأ عليه الفساد بالحياة والموت والهلاك والفناء. وهكذا. مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ بالاحتياج عَرَفَ رَبَّهُ بالقدرة، لأن الله سبحانه وتعالى قيوم السماوات والأرض. فما الذي جعل أي واحد من هؤلاء الناس غير قادر على رؤية الله: إنها الأكوان. وهل هذه الأكوان موجودة حقيقة؟ إنها موجودة بإيجاد الله لها. إنها كشريط سينمائي يديره الله. فماذا يعنى هذا؟ هذه الهيئة التي نجلس فيها الآن هناك مدد مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، مثل الضوء الموجود على شاشة السينما. أي أن كل لحظة نحتاج فيها إلى استمرار الآلة حتى تظهر الخيالات على الشاشة. ولو أغلقت الآلة فلن يوجد شئ على الشاشة. وكذلك لو قطع الله عَنَّا إمداد الخلق فسوف

نفنى..لن نموت..فالموت معناه أن أجسامنا ما زالت باقية،
يأتي أناس آخرون ويجدوننا ميتين. لا ليس على هذه الصورة،
ولكننا نفنى ونصبح لا شئ. هل يعنى هذا أنى الآن غير ما
كنت عليه في بداية الدرس؟ بالطبع نعم. وهل يعنى هذا أنى
أُخْلِقُ كل لحظة؟ نعم!، كل فيمتو ثانية، لا بل تُخْلَقُ وتُخْلَقُ
كل أقل من فيمتو ثانية بمليون مرة، وهكذا. ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ
فِي شَأْنٍ﴾ (الرحمن 29) ، كل يوم هو في شأن، لا يزال
سبحانه وتعالى خالقك. فلم يخلق سبحانه الدنيا ثم تركها
تسير وحدها بذاتها، لا بل أَمَدَّهَا بمدد من عنده. فهل يعنى
هذا أنى لا أملك أن أحافظ عل نفسي؟ نعم فالمدد هو
الذي يفعل هذا. أي أن ذلك معناه: لا حول ولا قوة إلا
بالله؟ نعم، هذا هو معناه، فلا حول ولا قوة إلا بالله. فهل
أنت ضعيفا أم قوى؟ أنت ضعيف وليس قوي. ﴿وُخْلِقَ
الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء 28). فلا حول ولا قوة لك، بل لا
حول ولا قوة إلا بالله. فهل نُؤَكِّدُكَ إلى نفسك طرفة عين؟
بالطبع لا بالرغم من أن طرفة العين تساوى حوالى نصف أو
ربع ثانية زمنا، بل أقل أيضا من الفيمتو ثانية. فلو أَوَكَّلَكَ
لنفسك طرفة عين فإن ذلك يعنى أن يتركك إلى نفسك مدة
كبيرة فإنك سوف تفنى..لن تموت بل تفنى. أي تُلْغَى مِنْ
الكون. فالله لا تَكِلُنَا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من
ذلك. هل رأيت الكلام، هو كلام متين جدا يأتي من أن لا
حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز العرش. هذا هو أحد
الأسرار، فهل هناك حد يعلم أنك وأنت موجود فإنه هناك

شعاع يخلقك كل لحظة بإذن الله وخلقته وإرادته. لو عرفت ذلك فلن تستطع أن تعصى الله. فأنت لو عرفت ذلك وتذكرته فإنك لن تستطيع أن تنسى الله، ولن تعرف إلا أن تلتجئ إليه وأن تخبت وتخضع له سبحانه وتعالى وتكون ملك طوعه.

لَوْ كُنْتَ حَقًّا حَبَّهُ لَأَطَعْتَهُ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ
إذن فهذه عقيدة تساعدك على العزلة التي تؤدي إلى الفكرة، تساعدك على دفن وجودك في أرض الخمول حتى تنبت منك الزرعة الصالحة لله.. تساعد على إزالة ما انطبع في قلبك من صور الأكوام حتى يشرق بالأنوار وحتى تنزل فيه الأسرار.. مما يَدُلُّكَ عَلَى وُجُودِ قَهْرِهِ سُبْحَانَهُ وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَنَّهُ لَا رَبَّ سِوَاهُ، وَأَنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ، وَأَنَّهُ قَاهِرٌ فَوْقَ عِبَادِهِ، وَأَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ، وَأَنَّهُ فَعَالٌ لِّمَا يَرِيدُ : أُنْ حَبَبَكَ عَنْهُ ، بِوَهْمٍ .. بشاشة سينما.. بما لَيْسَ بِمَوْجُودٍ مَعَهُ . فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الموجود وحده على الحقيقة، وسائر الكائنات في وجودها وحصولها، إنما ما هو من عند الله وبإذن الله وأمر الله. اللهم يا ربنا اجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه.

الحكمة السادسة عشرة

- (أ): كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ : وَهُوَ الَّذِي أَظْهَرَ كُلَّ شَيْءٍ ؟!
- (ب): كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ : وَهُوَ الَّذِي ظَهَرَ بِكُلِّ شَيْءٍ ؟!
- (ج): كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ : وَهُوَ الَّذِي ظَهَرَ فِي كُلِّ شَيْءٍ ؟!
- (د): كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ : وَهُوَ الَّذِي ظَهَرَ لِكُلِّ شَيْءٍ ؟!
- (هـ): كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ : وَهُوَ الظَّاهِرُ قَبْلَ وُجُودِ كُلِّ شَيْءٍ ؟!
- (و): كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ : وَهُوَ أَظْهَرَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ؟!
- (ز): كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ : وَهُوَ الْوَاحِدُ الَّذِي لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ ؟!
- (ح): كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ : وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ؟!
- (ط): كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ : وَلَوْلَاهُ مَا كَانَ وُجُودُ أَيِّ شَيْءٍ ؟!
- (ى): يَا عَجَبًا! كَيْفَ يَظْهَرُ الْوُجُودُ فِي الْعَدَمِ! أَمْ كَيْفَ يَثْبُتُ الْحَادِثُ مَعَ مَنْ لَهُ وَصْفُ الْقَدَمِ ؟!

كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ سبحانه وتعالى، بل المحجوب أنت. هو لا يحجبه شيء لأنه عظيم وليس هناك من الأكوان ما يقدر على أن يحجب ربه فإن الله سبحانه وتعالى هو الأول والآخر وهو الظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير جل جلال الله. فلا يمكن أن يحجب الله سبحانه وتعالى شيء إنما المحجوب هو أنت. وهذا الحجاب حجبك أنت عن تنزل الأنوار أو عن كشف الأسرار. كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ : وَهُوَ الَّذِي أَظْهَرَ كُلَّ شَيْءٍ فقد كان قبل الحجاب هذا المُدَّعَى وهو الآن على ما عليه كان. إذن فلا يمكن لشيء أن يحجبه. إنما هذه الأشياء تحجب العبد

عن ربه. كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَخْجُبَهُ شَيْءٌ: وَهُوَ الَّذِي ظَهَرَ بِكُلِّ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَبَدِيعِ صُنْعِهِ ظَهَرَ بِالعَالَمِ العُلُوِّ وَبِالعَالَمِ السُّفْلَى. وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ. كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَخْجُبَهُ شَيْءٌ: وَهُوَ الَّذِي ظَهَرَ فِي كُلِّ شَيْءٍ. كُلُّ شَيْءٍ يَشْعُرُ بِاِفْتِقَارِهِ إِلَى اللَّهِ وَبِحَاجَتِهِ إِلَى اللَّهِ. كُلُّ شَيْءٍ يُوقِنُ فِي نَفْسِهِ الْبَاطِنَةَ أَنَّهُ لِلَّهِ وَمِنَ اللَّهِ وَبِاللَّهِ، لَكِنْ مَعَاكِسَاتِ النَّفْسِ الْأَمَارَةِ بِالسُّوءِ هِيَ الَّتِي تَعَكِّرُ عَلَى الْإِنْسَانِ صَفَوْ فِطْرَتِهِ. الْإِنْسَانُ إِذَا تَرَكَ نَفْسَهُ لِنَفْسِهِ أَيْقَنَ بِوُجُودِ اللَّهِ وَبِقُوَّةِ اللَّهِ وَبِرَحْمَةِ اللَّهِ. كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَخْجُبَهُ شَيْءٌ: وَهُوَ الَّذِي ظَهَرَ لِكُلِّ شَيْءٍ فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ظَهَرَ لِلْكَائِنَاتِ فَسُبْحَتِهِ. ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء: 44)، وَهَذَا التَّسْبِيحُ الْمُسْتَوْرُ عَنْ الْخَلْقِ هُوَ تَسْبِيحُ حَالٍ، حَتَّى إِنْ جَسَدَ الْكَافِرُ يَسْبِيحُ لِرَبِّهِ قَهْرًا عَنْهُ، لَكِنْ إِنْ أَبَى عَقْلُهُ الْإِيمَانَ وَإِنْ أَبَتْ نَفْسُهُ الذِّكْرَ وَإِنْ أَبَى لِسَانُهُ أَنْ يَتَحَرَّكَ لِذِكْرِ اللَّهِ وَأَبَى قَلْبُهُ أَنْ يَرِقَ لِذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ مِنْ نَاحِيَةِ الْكُونِ يَسْبِيحُ لِلَّهِ لِأَنَّهُ دَاخِلٌ فِي مَفْهُومِ الشَّيْءِ. فَالشَّيْءُ يَطْلُقُ وَيُرَادُ مِنْهُ كُلُّ الْمُمْكِنِ وَكُلُّ الْمَوْجُودِ. وَعَلَى ذَلِكَ فَهُوَ يَسْبِيحُ لِلَّهِ قَهْرًا. كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَخْجُبَهُ شَيْءٌ: وَهُوَ الظَّاهِرُ قَبْلَ وُجُودِ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ. كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَخْجُبَهُ شَيْءٌ: وَهُوَ أَظْهَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. سَأَلُوا الْعَارِفَ مَا الدَّلِيلُ عَلَى وُجُودِ رَبِّكَ؟ قَالَ: رَبَّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الدَّلِيلِ وَهُوَ لَا يَحْتَاجُ فِي ظَهْوَرِهِ إِلَى دَلِيلٍ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَانَ قَبْلَ الدَّلِيلِ وَكَانَ مَعَ الدَّلِيلِ وَيَكُونُ بَعْدَ

الدليل فإن أقمت عليه الدليل فقد انتقصت قدره. وما هو الدليل على أنه غير موجود؟ لو أقمت ألف شبهة لا تطمئن لها النفس لأن النفس في النهاية تسأل نفسها من أين أنا؟ فلا تجد جوابا وافيا شافيا كافيا إلا أنني مخلوق لله. كل ما بعد ذلك إنما هو طرايات وخرافات وكلام ما أنزل الله به من سلطان ولا يقبله العقل ولا يقبله النقل. كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ : وَهُوَ الْوَاحِدُ الَّذِي لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ . لأننا كلنا فناء، وكلنا محتاجون إلى الله في وجودنا، وكلنا إنما نحن من الله خَلْقًا. فإذا هل مع الله أحد؟ لا ليس معه أحد لا واحد ولا اثنان ولا أحد إطلاقا معه لأنه يقول للشيء كن فيكون عدما وإيجادا. إذن هو الحقيقة المطلقة..هو الخالق الوحيد..هو الفاعل الحقيقي، أما وجودنا فَمِنْهُ وليس مِنَّا. كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ : وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ : وَلَوْلَاهُ مَا كَانَ وُجُودُ كُلِّ شَيْءٍ . يَا عَجَبًا! كَيْفَ يَظْهَرُ الْوُجُودُ فِي الْعَدَمِ! أَمْ كَيْفَ يَثْبُتُ الْحَادِثُ مَعَ مَنْ لَهُ وَصْفُ الْقِدَمِ . فأنت موصوف بالعدم إِمَّا مَالًا بالموت والانتها في عالم الحياة..وإما ابتداء بقبل خَلْقِكَ فقد كنت عدما..وإما حالا بآن وجودك إنما هو من وجود الله وأمره..فأنت في مقابلة الحقيقة عدم. أي أنه لا وجود لك قائما بنفسك..إنما القائم بنفسه هو الله. من عرف ربه بالبقاء والقدم عرف نفسه بالفناء والحدوث يَا عَجَبًا! كَيْفَ يَظْهَرُ الْوُجُودُ فِي الْعَدَمِ! أَمْ كَيْفَ يَثْبُتُ الْحَادِثُ مَعَ مَنْ لَهُ وَصْفُ الْقِدَمِ . أي إن كنت مستحيا ولديك حياء لا تقل

على نفسك أنك موجود..استح..واخجل..هل تقول على
نفسك أنك موجود والله موجود. أي أنه هو موجود لكن أنا
لا وجود لي..وهل هناك أنا..وهذه هي لا حول ولا قوة إلا
بالله . التَّبرَّى من الحول والقوة من كل جهة والخضوع لله
والاستكانة له والتوكل عليه والرضا به والتسليم بأمره. هذا
حال المؤمن فالله سبحانه وتعالى أقرب إلينا من حبل الوريد.

المكمة السادسة عشرة

- (أ): كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ : وَهُوَ الَّذِي أَظْهَرَ كُلَّ شَيْءٍ !؟
(ب): كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ : وَهُوَ الَّذِي ظَهَرَ بِكُلِّ شَيْءٍ !؟
(ج): كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ : وَهُوَ الَّذِي ظَهَرَ فِي كُلِّ شَيْءٍ !؟
(د): كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ : وَهُوَ الَّذِي ظَهَرَ لِكُلِّ شَيْءٍ !؟
(هـ): كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ : وَهُوَ الظَّاهِرُ قَبْلَ وُجُودِ كُلِّ شَيْءٍ !؟
(و): كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ : وَهُوَ أَظْهَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ !؟
(ز): كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ : وَهُوَ الْوَاحِدُ الَّذِي لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ !؟
(ح): كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ : وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ !؟
(ط): كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ : وَلَوْلَاهُ مَا كَانَ وُجُودُ كُلِّ شَيْءٍ !؟
(ي): يَا عَجَبًا! كَيْفَ يَظْهَرُ الْوُجُودُ فِي الْعَدَمِ! أَمْ كَيْفَ يَثْبُتُ الْحَادِثُ مَعَ مَنْ لَهُ
وَصَفُ الْقِدَمِ !؟

كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ سبحانه وتعالى، بل المحجوب
أنت. هو لا يحجبه شيء لأنه عظيم وليس هناك من الأكوان

ما يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَحْجِبَ رَبَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ
الأول والآخِر وهو الظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم وعلى
كل شيء قدير جل جلال الله. فلا يمكن أن يَحْجِبَ الله
سبحانه وتعالى شيء إنما المحجوب هو أنت. وهذا الحجاب
حجبك أنت عن تَنْزُلِ الأنوار أو عن كشف الأسرار. كَيْفَ
يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجِبَهُ شَيْءٌ: وَهُوَ الَّذِي أَظْهَرَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْ كَانَ
قبل الحجاب هذا الْمُدَّعَى وهو الآن على ما عليه كان. إذن
فلا يمكن لشيء أن يحجبه. إنما هذه الأشياء تحجب العبد
عن ربه. كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجِبَهُ شَيْءٌ: وَهُوَ الَّذِي ظَهَرَ بِكُلِّ
شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَبِدِيعِ صَنْعِهِ ظَهَرَ بِالعالم
العلوى وبالعالم السفلى. وفي كل شيء له آية تدل على أنه
واحد. كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجِبَهُ شَيْءٌ: وَهُوَ الَّذِي ظَهَرَ فِي كُلِّ
شَيْءٍ. كل شيء يشعر بافتقاره إلى الله وبحاجته إلى الله. كل
شيء يُوقِنُ في نفسه الباطنة أنه لله ومن الله وبالله، لكن
معاكسات النفس الأمارة بالسوء هي التي تعكر على الإنسان
صفو فطرته. الإنسان إذا ترك نفسه لنفسه أيقن بوجود الله
وبقوة الله وبرحمة الله. كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجِبَهُ شَيْءٌ: وَهُوَ
الَّذِي ظَهَرَ لِكُلِّ شَيْءٍ فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ظَهَرَ لِلْكَائِنَاتِ
فَسُبْحَتُهُ. ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ
تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء 44)، وهذا التسبيح المستور عن
الخلق هو تسبيح حال، حتى إن جسد الكافر يسبح لربه
قهرًا عنه، لكن وإن أبى عقله الإيمان وإن أبت نفسه الذكر
وإن أبى لسانه أن يتحرك لذكر الله وأبى قلبه أن يرق لذكر

الله فإنه من ناحية الكون يسبح لله لأنه داخل في مفهوم
 الشئ. فالشئ يطلق ويراد منه كل الممكن وكل الموجود.
 وعلى ذلك فهو يسبح لله قهرا. كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ
 :وَهُوَ الظَّاهِرُ قَبْلَ وُجُودِ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ.
 كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ : وَهُوَ أَظْهَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. سألوا
 العارف ما الدليل على وجود ربك؟ قال: ربنا سبحانه وتعالى
 هو أعظم من الدليل وهو لا يحتاج في ظهوره إلى دليل لأنه
 سبحانه وتعالى كان قبل الدليل وكان مع الدليل ويكون بعد
 الدليل فإن أقمت عليه الدليل فقد انتقصت قدره. وما هو
 الدليل على أنه غير موجود؟ لو أقمت ألف شُبْهَة لا تطمئن
 لها النفس لأن النفس في النهاية تسأل نفسها من أين أنا؟
 فلا تجد جوابا وافيا شافيا كافيا إلا أنني مخلوق لله. كل ما
 بعد ذلك إنما هو طرايات وخرافات وكلام ما أنزل الله به من
 سلطان ولا يقبله العقل ولا يقبله النقل. كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ
 يَحْجُبَهُ شَيْءٌ : وَهُوَ الْوَاحِدُ الَّذِي لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ . لأننا كلنا
 فناء، وكلنا محتاجون إلى الله في وجودنا، وكلنا إنما نحن من
 الله خَلْقًا. فإذن هل مع الله أحد؟ لا ليس معه أحد لا واحد
 ولا اثنان ولا أحد إطلاقا معه لأنه يقول للشئ كن فيكون
 عدما وإيجادا. إذن هو الحقيقة المطلقة.. هو الخالق
 الوحيد.. هو الفاعل الحقيقي، أما وجودنا فَمِنْهُ وليس مِنَّا.
 كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ : وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
 . كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ : وَلَوْلَاهُ مَا كَانَ وُجُودُ كُلِّ شَيْءٍ
 . يَا عَجَبًا! كَيْفَ يَظْهَرُ الْوُجُودُ فِي الْعَدَمِ! أَمْ كَيْفَ يَثْبُتُ

الْحَادِثُ مَعَ مَنْ لَهُ وَصْفُ الْقَدَمِ . فَأَنْتَ مُوصُوفٌ بِالْعَدَمِ إِمَّا
مَالًا بِالموت والانتهاة في عالم الحياة.. وإما ابتداء بقبل
خَلْقِكَ فَقَدْ كُنْتَ عَدَمًا.. وإما حالًا بَأَنَّ وجودك إنما هو من
وجود الله وأمره.. فَأَنْتَ في مقابلة الحقيقة عدم. أي أنه لا
وجود لك قائمًا بنفسك.. إنما القائم بنفسه هو الله. من عرف
ربه بالبقاء والقدم عرف نفسه بالفناء والحدوث يَا عَجَبًا!
كَيْفَ يَظْهَرُ الْوُجُودُ فِي الْعَدَمِ! أَمْ كَيْفَ يَثْبُتُ الْحَادِثُ مَعَ مَنْ
لَهُ وَصْفُ الْقَدَمِ . أي إن كنت مستحيا ولديك حياة لا تقل
على نفسك أنك موجود.. استح.. واخجل.. هل تقول على
نفسك أنك موجود والله موجود. أي أنه هو موجود لكن أنا
لا وجود لي.. وهل هناك أنا.. وهذه هي لا حول ولا قوة إلا
بِالله . التَّبَرَّى من الحول والقوة من كل جهة والخضوع لله
والاستكانة له والتوكل عليه والرضا به والتسليم بأمره. هذا
حَالُ الْمُؤْمِنِ فَالله سبحانه وتعالى أقرب إلينا من حبل الوريد.

الحكمة السابعة عشرة

مَا تَرَكَ مِنَ الْجَهْلِ شَيْئًا مَنْ أَرَادَ أَنْ يَحْدُثَ فِي الْوَقْتِ غَيْرُ مَا
أَظْهَرَهُ اللَّهُ فِيهِ

مَا تَرَكَ مِنَ الْجَهْلِ شَيْئًا أي جاهل جدا.. أي شرب كل الجهل
مثل أبو جهل أي أنه يعتقد أن له حولًا وقوة.. يظن أنه
يستطيع فعل شيء.. يظن أنه يستطيع أن يعاند ربه ويصارعه —
وليعاذ بالله — فَيَغْلِبُ. مثل الوثنيات اليونانية حيث يقولون

إن الإنسان تصارع مع الآلهة وغلبها. فهذا هو مبنى عقلية الغرب، أن الإنسان يصارع الكون ويغلبه، ويصارع الإله ويغلبه. لكن هذا ليس عند المسلمين فالمسلمون أهل حقيقة. وهذا الكلام طرايات وخرافات ما ترك من الجهل شيئاً هذا الصنف من الناس شرب الجهل كله من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه . الله أظهر أن نجتمع الآن، ولو اجتمع من في الأرض جميعا يريدون منعنا من الاجتماع الآن ويجعلونا نجتمع غدا ما استطاعوا..أو أمس لا يقدر..لا هم ولا نحن. هذا هو التسليم المطلق وهذه هي الحقيقة. وحين تعلم هذه الحقيقة أترك الأسباب؟ لا بل تمشي في الأسباب وترضى بها، لأن ترك الأسباب جهل والاعتماد عليها شرك. فتركها جهل لأن الأنبياء ما تركت الأسباب.

الحكمة الثامنة عشرة

إِحَالَتِكَ الْأَعْمَالَ عَلَى وُجُودِ الْفَرَاغِ مِنْ رُغُونَاتِ النَّفْسِ

فلقد خاف أن يكون هناك قاصرا يفهم من الأولى أن يترك الإنسان نفسه سبهلة، وكلما ذكرناه بموعد الصلاة يرد بأنه مشغول وأنه ينتظر حتى يفرغ بعض الشيء..ألن تذكرأو تفعل الخير فيقول حينما أفرغ بعض الشيء..ألن تذهب لتعمير الأرض فيقول حينما أفرغ. ويقول إنى أريد الراحة قليلا. وهو لن يرتاح ولن يذق طعم الراحة حتى الموت. فمن رغونات

النفس تأجيل الأعمال: تأجيل عمل اليوم إلى الغد، والآن إلى ما بعده. لكن أبدا فبادروا بالأعمال الصالحة ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (آل عمران 133)، فدائما الله هكذا ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ (الذاريات 50)، وهكذا رأيت فهو يطلب منا الفرار والمصارعة والمبادرة وهكذا. إذن فالعصيان هنا من رعونات النفس. إِحَالَتِكَ الْأَعْمَالَ عَلَى وُجُودِ الْفَرَاغِ أَي أَنْتَظِرْ حَتَّى أَفْرَغَ هُوَ مِنْ رُعُونَاتِ النَّفْسِ فَإِيَاكَ وَإِيَاكَ. إذن لابد أن يكون المسلم المؤمن صاحب همة يفعل مباشرة ولا يؤجل عملا في الآن لما بعده.

الحكمة التاسعة عشرة

لَا تَطْلُبْ مِنْهُ أَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ حَالَةٍ لِيَسْتَعْمَلَكَ فِيمَا سِوَاهَا
:فَلَوْ أَرَادَكَ لَا سَتَعْمَلَكَ مِنْ غَيْرِ إِخْرَاجِ

فإنه يرقى بك إلى نوع آخر من التوكل وهو عدم الطلب. فإذا كنت طبيبا فكن طبيبا كما أنت. لا تشكو وتقول أنا أريد أن أتفرغ للذكر وحفظ القرآن وغير ذلك. إن الله لم يقمك في هذا. ولو أرادك على ما أنت عليه من شغل ومنفعة للناس وتخفيف لألم المرض عن الخلق لرأيت نفسك حافضا للقرآن وكل ما تريده سوف يكون. فلا تناقر ولا تكن متبرما من حالتك. أقم نفسك حيث ما أقامك الله واستوفى شروط ما طلبه منك. ثم بعد ذلك الاستيفاء وبعد ذلك الاستكمال لشروط ما طلبه الله منك - والمستشار مؤتمن فيجب على

القاضي أن يدرس القضية جيدا ويجب على الطبيب متابعة الحالة جيدا ويجب على المهندس أن يكون أميناً في عمله ويجب على المفتي المذاكرة كي يعرف حكم الله ويطلع على الواقع ويتأني في فهم السؤال ويجب على كل واحد أقامه الله في مكان أن يكون مخلصاً لله في ذلك المكان فإن المستشار مؤتمن والخيانة بئس البطانة والتقصير في المهنة نوع من أنواع الخيانة وعدم الأمانة فيقول لَا تَطْلُبْ مِنْهُ أَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ حَالَةٍ لَيْسَتْ عَمَلِكَ فِيمَا سِوَاهَا يرقى هذا إلى حال الرجال والنساء. فكثير من الرجال يريد ويتمنى أن يكون امرأة وكثير من النساء يتمنين لو أنهن كن رجالاً. فيقول فيهن رسول الله وفيهم ﴿لَعَنَ اللَّهُ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ﴾ ويقول ربنا سبحانه وتعالى ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النساء 32)، وقل يا رب وفقني لما أقمتني فيه. فالحكاية ليست مشاحنة وصراع فالحكاية تكامل ووقوف عند إرادة الله وتمتع وتلذذ بما أقامك الله فيه. فإن أقامك في شيء من الفقر أو الغنى أو القوة أو الضعف أو الصحة أو المرض أو الجهل أو عدمه أو الذكورة أو الأنوثة فارض وسلم وعش حياة سعيدة لأن هذا الدين غايته سعادة الدارين. ولا تكون السعادة إلا بالرضا والقناعة فلو أرادك لاستعملك من غير إخراج ولجمع لك بين مُرَادِكَ الصحيح إن كان صحيحاً وبين ما أنت عليه.

الحكمة العشرون

مَا أَرَادَتْ هِمَّةُ سَالِكٍ أَنْ تَقِفَ عِنْدَمَا كُشِفَ لَهَا؛ إِلَّا وَنَادَتْهُ
هَوَاتِفُ الْحَقِيقَةِ: الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ. وَلَا تَبَرَّجَتْ لَهُ ظَوَاهِرُ
الْمُكُونَاتِ؛ إِلَّا وَنَادَتْهُ حَقَائِقُهَا: إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ

والإنسان سائر في طريق الله فأحياناً يصل إلى محطة. فمثلاً
واحد مسافر إلى أسوان من القاهرة لأسوان يجد هناك
محطات. مثلاً بنى سويف وهى أول واحدة وأسيوط وغيرها.
فترى محطات أثناء سيرك. فعندما الإنسان يصل إلى محطة
في طريق الله فتحدثه نفسه أنه قد وصل. وعننى الوصول هو:
نم وارتاح وانزل في هذه المحطة فيها نحن قد انتهينا والقطار
سوف يتوقف ويدخل الجراج. وهكذا تُحَدِّثُ نفس العابد
له. وعندما تحدثه نفسه بهذه الطريقة ويميل قلبه إلى الدعى
والراحة وأنه قد وصل إلى شئ ما ومرتبة مع الله تدعوه إلى
الراحة وإلى ترك العمل يسمع هواتف الحقيقة. تأتى في نفسه
واردات تقول: إن محطتك لم تأت بعد.. فمحطتك ما زالت
أمامك.. امش ولا تنزل ولا تتراخى ولا تدع العمل. ولذلك
يقول مَا أَرَادَتْ هِمَّةُ سَالِكٍ سَالِكٌ أَي سَالِكٌ فِي الطَّرِيقِ إِلَى
اللَّهِ أَنْ تَقِفَ أَي تَقُولُ لَهُ يَكْفَى هَذَا عِنْدَمَا كُشِفَ لَهَا أَي
ظهر لها محطة من محطات الوصول والترقى مع الله في
طريقه إِلَّا وَنَادَتْهُ هَوَاتِفُ الْحَقِيقَةِ تَبِينُ لَهُ لِإِخْلَاصِهِ وَنِيَّتِهِ
الصادقة الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ أَي استمر فلم تصل بعد. هذا

من ناحية الوصول إلى الأنوار فعندما رأى نورا فقال: هذا نور الله واتضح أنه نور بسيط..شئ خفيف وليس نور الله. إذا كنت تريد نور الله فهو أمامك. ومتى يصل الإنسان؟ عندما يموت..عندما تغادر الروح الجسد.. ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر 99)، يعنى الموت..لأنه جازم صلى الله عليه وسلم. وأولياء الله جازمون. حتى قالوا: لو كُشِفَ الحجابُ ما ازددنا يقينا.. وهذا من ناحية اليقين أي الجزم. أما اليقين هنا فهو الموت. يعنى استمر في السير فإنك لا تَنَسَكِبَ عليك الأنوار ولا يحدث لك حلّ من التكليف إلا بالتشريف. والتشريف هو الموت..أي أن روحك تخرج إلى بارئها إلى الرفيق الأعلى. رأيت كلام رسول الله: ﴿إلى الرفيق الأعلى﴾، فهو تشريف..تشريف ورقى. فمتى يتم التشريف فيسقط التكليف؟ بالموت. لكنه لا يسقط وأنت على قيد الحياة. وَلَا تَبَرَّجَتْ ولقد كان يتكلم عن الأنوار والآن يتكلم عن الأسرار. تَبَرَّجَتْ أي كشفت عن وجهها..وكُشِفَ أي كشف عن المستور..والكشف عن المستور هو كشف عن الأسرار. وَلَا تَبَرَّجَتْ لَهُ ظَوَاهِرُ الْمُكَوَّنَاتِ هذه المكونات التي حولنا كشفت أسرارها. فما سر هذا العمود..وما سر هذا الكرسي..وما سر هذا الإنسان الذي أمامي؟ أنه فان..وأنه حَادِثٌ..وأنه محتاج إلى الله..وأنه لا حول ولا قوة به..وأنه مخلوق..وأنه في هذا الخلق بمدد مستمر. وهذا الكلام الذي نشرحه الآن هو سرّ. ولا يعلمه الكثير. فيقول أحدهم: أنا موجود أي أنه يرى نفسه مع الله! فهذه الأسرار

تَبَرَّجَتْ لَهُ فَمَاذَا تَحَدَّثَ فِي قَلْبِ الْعَارِفِ السَّالِكِ؟ نَادَتْهُ حَقَائِقُهَا أَنَّهَا فَانِيَةٌ غَيْرُ بَاقِيَةٍ.. حَادِثَةٌ: إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فكل هذه المكونات: البشر والأشياء والعوالم والمكونات إنما هي حجاب يحجبني عن الله عندما انشغل به.. حجاب يحجبني عندما أنسب إليه العمل والفعل والخلق دون الله.. حجاب عندما لا أعلم ولا أرى الله فيه ووراءه وأنه به سبحانه، وهكذا. فَمَاذَا تَعْنِي كَفَرْتَ؟ إِنَّهَا تَعْنِي غَطَّيْتُ.. وَمِنْهُ الزُّرَّاعُ يَسْمُونَ الْكُفَّارَ لِأَنَّهُمْ غَطَّوْا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَمَاذَا تَكْفُرُ أَنْتَ؟ إِنَّكَ تَكْفُرُ نَفْسَكَ عَنِ الْأَنْوَارِ.. تَسْتَرُ نَفْسَكَ بِحِجَابٍ عَنِ اللَّهِ.. فَتَسِيرُ وَتَنْسِبُ الْأَعْمَالَ لِلنَّاسِ وَتَغْتَاطُ مِنْ هَذَا وَتَتَشَاحَنُ مَعَ هَذَا وَتَرْضَى عَنْ هَذَا وَتَبْغِضُهُ تَارَةً أُخْرَى. وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ ﴿أَخْبِبْ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا وَأَبْغِضَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا﴾ ، لِأَنَّ مِنَ النِّفَاقِ ﴿إِذَا خَاصَمَ فَجَرَ﴾ ، أَيِ إِذَا كَرِهْتَ شَخْصًا فَادَعِ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ وَأَنْ يَسَامِحَهُ اللَّهُ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا فَتَخْجَلُ مِنْ كَثْرَةِ مَا قَدْ ذَكَرْتَهُ بِسُوءٍ. فَحَقَائِقُ هَذِهِ الْمَكُونَاتِ تَخْبِرُكَ أَنَا فِتْنَةٌ وَأَنَّهَا حِجَابٌ لَكَ عَنِ اللَّهِ إِلَّا إِذَا عَرَفْتَ حَقَائِقَهَا فَتَنَوَّرَتْ قَلْبُكَ وَرَفَعَتْ حُجُبَهُ فَرَأَيْتَ اللَّهَ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَى وَأَعْلَمُ.

الحكمة الحادية والعشرون

طَلَبْتُكَ مِنْهُ : اتَّهَمْتُ لَهُ. وَطَلَبْتُكَ لَهُ غَيْبَةً مِنْكَ عَنْهُ. وَطَلَبْتُكَ لَغَيْرِهِ لِقَلَّةِ حَيَاتِكَ مِنْهُ. وَطَلَبْتُكَ مِنْ غَيْرِهِ لَوُجُودِ بُعْدِكَ عَنْهُ

لا حول ولا قوة إلا بالله. تبرأ من حَوْلِهِ وقوته فوصل إلى مرحلة الرضا والتسليم، ورأى كل شئ في الكون بفعل الله لأنه لا إله إلا هو فَرَضِيَ بما كان فلم يقنط ولم يحزن على ما فاتته ولم يَتَشَوَّفَ إلى غير مراد الله في كونه. وعلى ذلك فإذا دعا الله دعاه محض عبادة ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر 60). إذن ﴿ الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ ﴾ ، ولفظ " هو " يُسَمُّوه ضمير الفصل. يقولون: " فَصْلٌ فِيهِ لَا فَصْلٌ بِهِ "، يعنى: الدعاء العبادة. وينبغي أن نؤكد هنا على أن " هذا " هو الخبر لذلك المبتدأ. فقالوا: قد يتوهم المتوهم أن الخبر لم يأت بعد. مثل قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ (البقرة 2) فيقول: أين الخبر؟ فنقول له ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (البقرة 2). لكن عندما يرى أن " ذَلِكَ " مبتدأ، ولفظ " الْكِتَابُ " خبره فنقول: ذَلِكَ هو الْكِتَابُ. ونضع " هو " لكي يبين أن المعرفة التالية لذلك المبتدأ إنما هي خبر وليست صفة له. فجاء بضمير الفصل. وضمير الفصل يقوم بشيء آخر وهو الحصر والقصر. فيقول الدعاء هو العبادة. فإذا ما دَعَوْتَ رَبَّكَ دعوته متعبدا وليس متشوقا. فطالب الدنيا أو طالب الآخرة إنما طلبه للدنيا وطلبه للآخرة حجاب. فإذا رُفِعَ الحجاب شعرت بحلاوة الإيمان وبحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قلبك. طَلَبُكَ مِنْهُ : اتِّهَامٌ لَهُ إذا لم يكن على صفة العبادة. فهناك فرق بين أن تقول:

يا رب أنا أريد هذه! وبين أنك تقول: يا الله أريد هذا ولا أقولها بلساني إلا عبادة لك. يعنى ليس هناك تشوفا في نفسك للمطلوب، بل انتهى تَشَوُّفِكَ ولم يبق فيك إلا الرضا بما أَرَادَهُ اللهُ. فإذا أَرَادَ رَبُّنا عَلَيْكَ الْمَطْلُوبَ فتسعد وتصبح فرحانا، وتقول الحمد لله لقد أديت ما عَلَيَّ فقد حمدت الله ولم أَتَشَوَّفَ، فلا أحزن إذا ما تأخر الطلب. أما الثاني يتململ ويقول: يا رب لقد دعوتك فلماذا لم تستجب لي! وهذا فيه اعتراض. ولكن التسليم المطلق أن تجعل لَهْجَكَ بالدعاء عبادة. هل فكرت في قول سيدنا رسول الله وهو يرشدك ﴿الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ﴾، أي اجعله عبادة ولا تجعله طلبا ولا تشوفا. ومن الذي يستطيع هذا؟ كلنا متمسكين بالدنيا.. مكلبشين فيها كلبشة الكلب في العظمة. أي والله مكلبشين فيها كلبشة بحيث أننا نحزن على المفقود ونفرح بالموجود. ولذلك فإن دعاء الصالحين هو: ﴿اللهم اجعل الدنيا في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا﴾ فدعاء الصالحين أنهم لا يحزنون على المفقود ولا يفرحون بالموجود. هم لا يتركون الدنيا بل يحصلونها لله، فإن فقدوها لا يحزنوا، ويقولون وما المشكلة، إنما لا نهتم فهي ليست لنا. إنها ملك الله يعطيها من يشاء. طَلَبُكَ مِنْهُ : اتِّهَامٌ لَهُ ..يعنى هات..اعطنى..إنما هو اتهام له لأنه يعلم حاجتك وسوف يقضيها. ألا تعلم أنه على كل شئ قدير وأن بكل شئ عليم وَطَلَبُكَ لَهُ غِيَّةٌ مِنْكَ عَنْهُ فَاللَّهُمَّ وَصَلْنِي إِلَيْكَ..إذن معنى ذلك أنك لم تصل بعد وأنت غائب. وهذا كلام عال جدا.

وَطَلَبُكَ لِغَيْرِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلَيْسَتْ لَهُ. فَتَطْلُبُ مِثْلًا أَنْ يَشْفِيَ ابْنَكَ أَوْ يَنْجِحَهُ أَوْ يَسُدَّ دِيُونَ فُلَانٍ لِقَلَّةِ حَيَاتِكَ مِنْهُ فَلَوْ كَانَ عِنْدَكَ حَيَاءٌ لَقُلْتَ: اللَّهُمَّ افْعَلِ الْخَيْرَ كُلَّهُ وَطَلَبُكَ مِنْ غَيْرِهِ فَهِيَ مُصِيبَةٌ. فَمَنْ غَيْرُهُ مُصِيبَةٌ لَوْجُودِ بُعْدِكَ عَنْهُ فَأَنْتَ بَعِيدٌ جَدًّا وَلَا بَدَّ عَلَيْكَ أَنْ تَسِيرَ فِي الطَّرِيقِ حَتَّى تَسْتَقِيمَ لَكَ الْأُمُورَ مَعَ اللَّهِ.

الحكمة الثانية والعشرون

مَا مِنْ نَفْسٍ تُبَدِّلُهُ إِلَّا وَلَهُ قَدَرٌ فِيكَ يُمَضِّيه

يعنى شريط السينما الذي قلت لكم عنه سابقا. فلقد خلقنا الله، وما زال يخلقنا. وما من نفس يخرج أو من نفس يدخل إلا بقدر الله. ولو أنه قطع عنا إمداد الخلق لفينا. سوف نقفل مثل السينما. لو قطع الله إمداد الخلق فقط عن السماوات والأرض، وترك الملائكة خارج السماوات تتفرج، فلن يجدوا أمامهم شيئا.. لا المسجد الأزهر.. ولا نحن.. ولا الأرض ولا السماوات ولا الشمس.. ولا أي شيء. فإذا قطع الإمداد سبحانه فتضيع وتذهب. هل معنى ذلك أنني أُخْلَقُ خلقا جديدا كل يوم؟ نعم. هل كل يوم؟. هل كل لحظة؟ أبدا. هل كل ثانية، والثانية هي اللحظة؟ هل كل فيمتو ثانية؟. لا بل أقل من ذلك: ﴿اللهم لا تكلنا لأنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك﴾ ، ومعنى لا أقل من ذلك هو أن ذلك شيء غير متناهي. إذن فنحن وميض متتالي.. فلو انقطع عني

الإمداد فلن أموت.. لأنه عندما أموت يكون جسدي موجود، ولكنني قطع الإمداد معناه أن أفنى وَيَفْنَى معي الكون. فينبهك الشيخ ويخفف ذلك الأمر عليك حتى لا يضيع عقلك فينقلها لك في صورة بسيطة مَا مِنْ نَفْسٍ وَفِي الحقيقة هو أقل من ذلك بكثير مَا مِنْ نَفْسٍ تُبْدِيهِ إِلَّا وَلَهُ قَدَرٌ فِيكَ يُمَضِيهِ.

الحكمة الثالثة والعشرون

لَا تَتَرَقَّبَ فَرَاغَ الْأَغْيَارِ : فَإِنَّ ذَلِكَ يَقْطَعُكَ عَنْ وُجُودِ
الْمُرَاقَبَةِ لَهُ فِيمَا هُوَ مُقِيمٌ فِيهِ

فكلما ينبهك أحد ويقول لك صلى أو تزكى أو انجد نفسك، فتقول انتظر حتى أفرغ، فالشواغل والمشاكل كثيرة. إن هذه الشواغل والمشاكل لن تنتهي. يقول لك: اذكر الله. فيرد: أنا مشغول جدا. إذن متى يأتيك هذا الفراغ؟ الإجابة: عندما يُرْدِيكَ. يرديك تعني يميته. إذن فمتى يأتيك الفراغ؟! وكان أحد مشايخنا رحمه الله يقول: "لقد انشغلنا انشغالا يمكن أن نقول لعزرائيل عندما يأتينا شرعا حقيقة ليس لدينا وقت (مش فاضيين) "، وهذا من شدة الانشغال.. فليس لدينا فراغ. فكيف تنتظر إذن الفراغ إذا كان الأمر كذلك؟ أنت مشغول، وهذا لا ينفع يا اخواني، ولا يجدى، فلا بد أن نبادر إلى الله وَنَفِرَ إِلَيْهِ. لَا تَتَرَقَّبَ فَرَاغَ الْأَغْيَارِ. وما هي هذه الأغيار؟ هي جمع غير. وَمَنْ هَذَا

الْغَيْرَ؟ إِنَّهُ غَيْرُ اللَّهِ. وَمَنْ غَيْرُ اللَّهِ؟. إِنَّهُ الْكَوْنُ كُلُّهُ. وَلَقَدْ
أَسْمَوْهُ السَّوَى، وَكَذَلِكَ أَسْمَوْهُ الْغَيْرَ. فَإِنَّ ذَلِكَ يَقْطَعُكَ
عَنْ وُجُودِ المُرَاقَبَةِ لَهُ. يجعلك منشغلا بالدنيا ولا تتذكر ربك
أبدا. وعندما تقوم بأداء عملين أو ثلاثة سواء زكيت أو
صليت أو ذكرت تكون فرحا بنفسك مثل الديك الجركسي
بالرغم من أنه هو الذي وفقك إلى ذلك وخلق فيك فعل
الطاعة فما كان منك إلا أن يجب عليك بذلك الحمد
والشكر. فإذا حمدته وشكرته فلا بد عليك من الحمد مرة
ثانية والشكر مرة ثانية على أن وفقك على أن حمدته
وشكرته. ولن ننتهي بذلك فنقول ﴿ لا نحصى ثناءً عليك
أنت كما أثيت على نفسك ﴾ . فَإِنَّ ذَلِكَ يَقْطَعُكَ عَنْ
وُجُودِ المُرَاقَبَةِ لَهُ فِيمَا هُوَ مُقِيمٌ فِيهِ. طلب منا
العبادة.. وطلب منا العماره.. وطلب منا تزكية النفس. وسُئِلَ
بعض العارفين متى يستريح الفقير؟ الفقير إلى الله شأنه شأن
محتاج إلى الله دائما فهو مع الله دائما لا ينساه. الفقير إلى
الله دائما في السير إلى الله. تجد الفقير لو أن الغنى - غنى
الدنيا وفقير الدنيا - يعطيه شيء كل يوم فتجده ملازما له كل
يوم. أرأيت كيف فهو يشحت. وهذا يشحت من الله فهو
يقف على باب الله. وعندما يشحت من الله ووجد النعمة فلا
يريد أن يذهب.. واقف دائما. سُئِلَ بعض العارفين متى
يستريح الفقير من هذه الوقفة؟ فقال: إذا لم يرى وقتا غير
الوقت الذي هو فيه. يستريح عندما يتلذذ بفعل الله فيه

فيكون مرتاحا ومبسوطا. وإذا قلت له أن يذهب ويغادر فيرد عليك: وكيف أمشي أين أذهب!.

الحكمة الرابعة والعشرون

لَا تَسْتَغْرِبْ وَقُوعَ الْأَكْدَارِ مَا دُمْتَ فِي هَذِهِ الدَّارِ
فَإِنَّهَا مَا أَبْرَزَتْ إِلَّا مَا هُوَ مُسْتَحَقٌّ وَصَفِهَا وَوَاجِبْ نَعْتَهَا

وهذه الدار دار تكليف وابتلاء وامتحان. حتى قال البعض: اللهم أخرجنا من دار البلاء بلا بلاء. فهذه دار البلاء أصلا. وعندما تأتي الأكدار.. من ضيق.. من أزمة.. من مرض.. من سقوط في امتحان لا قدر الله - أنجح الله الطلاب - لا تحزن فهذا شأن هذه الدار. أنها كبوة فربوة فحبوة فنبوة. فَإِنَّهَا مَا أَبْرَزَتْ إِلَّا مَا هُوَ مُسْتَحَقٌّ فهذا هو شأنها كلها. كلها كدر. إِلَّا مَا هُوَ مُسْتَحَقٌّ وَصَفِهَا وَوَاجِبْ نَعْتَهَا. فما اسمها؟ الدنيا وهذه الدنيا من الدُّنُو ومن الدَّنَاءَةِ. فإذا كان هذا هو اسمها.. دنيا.. فكيف تريدها أن تكون دائمة لك أو خالية من الأكدار.. صافية من المنغصات.. فالدنيا معناها أنها دينئة.. وعندما يكون الشخص دينيا، فماذا تنتظر منه؟ هل تنتظر منه الأخلاق العالية الصفات الباهرة. فهذا هو عملها.

الحكمة الخامسة والعشرون

مَا تَوَقَّفَ مَطْلَبُ أَنْتَ طَالِبُهُ بِرَبِّكَ وَلَا تَيْسَّرَ مَطْلَبُ أَنْتَ
طَالِبُهُ بِنَفْسِكَ

يعنى إذا توكلت على الله حق توكله وطلبت منه سبحانه وتعالى له فإنك تصل بذلك إلى مرادك ويطابق ما في نفسك ما هو مرادُ الله فترضى وتجد نفسك عبدا ربانيا إذا قلت للشئ كن فيكون لا باعتبار ذاتك فإن ذاتك فانية إنما باعتبار موافقتك للحق سبحانه وتعالى مع الرضى التام والتسليم الأتم والتوكل والثقة بما عند الله سبحانه وتعالى حتى وكأنك ترى ما في الكون إنما هو مرادك أنت. والأمر ليس كذلك فما القلب عندك إلا مَجَلَى لصفات الله سبحانه وتعالى يظهر فيها إذا ما رفعت الحُجُبَ عنه فتتلاأ الأنوار وتنكشف الأسرار ويهدأ البال ويصلح الحال فالحمد لله رب العالمين.

الحكمة الحادية والعشرون

طَلَبُكَ مِنْهُ : اتَّهَامٌ لَهُ. وَطَلَبُكَ لَهُ غِيْبَةٌ مِنْكَ عَنْهُ. وَطَلَبُكَ لغيرِهِ لِقَلَّةِ حَيَاتِكَ مِنْهُ. وَطَلَبُكَ مِنْ غَيْرِهِ لَوْجُودِ بُعْدِكَ عَنْهُ

لا حول ولا قوة إلا بالله. تبرأ من حَوْلِهِ وقوته فوصل إلى مرحلة الرضا والتسليم، ورأى كُلَّ شَيْءٍ في الكون بفعل الله لأنه لا إله إلا هو فَرَضِيَ بما كان فلم يقنط ولم يحزن على ما فاته ولم يَتَشَوَّفَ إلى غير مراد الله في كَوْنِهِ. وعلى

ذلك فإذا دعا الله دعاه مَحْضُ عِبَادَةٍ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر 60). إذن ﴿ الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ ﴾ ، ولفظ " هو " يُسَمُّوه ضمير الفصل. يقولون: " فَصْلٌ فِيهِ لَا فَصْلٌ بِهِ "، يعنى: الدعاء العبادَة. وينبغي أن نؤكد هنا على أن " هذا " هو الخبر لذلك المبتدأ. فقالوا: قد يتوهم المتوهم أن الخبر لم يأت بعد. مثل قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ (البقرة 2) فيقول: أين الخبر؟ فنقول له ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (البقرة 2). لكن عندما يرى أن " ذَلِكَ " مبتدأ، ولفظ " الْكِتَابُ " خبره فنقول: ذَلِكَ هو الْكِتَابُ. ونضع " هو " لكي يبين أن المعرفة التالية لذلك المبتدأ إنما هي خبر وليست صفة له. فجاء بضمير الفصل. وضمير الفصل يقوم بشيء آخر وهو الحصر والقصر. فيقول الدعاء هو العبادَة. فإذا ما دَعَوْتَ رَبَّكَ دعوته متعبدا وليس مُتَشَوِّفًا. فطالب الدنيا أو طالب الآخرة إنما طلبه للدنيا وطلبه للآخرة حجاب. فإذا رُفِعَ الحجاب شعرت بحلاوة الإيمان وبحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قلبك. طَلَبَكَ مِنْهُ : اتِّهَامٌ لَهُ إذا لم يكن على صفة العبادَة. فهناك فرق بين أن تقول: يا رب أنا أريد هذه! وبين أنك تقول: يا الله أريد هذا ولا أقولها بلساني إلا عبادَة لك. يعنى ليس هناك تشوفا في نفسك للمطلوب، بل انتهى تَشَوُّفُكَ ولم يبق فيك إلا الرضا بما أَرَادَهُ اللهُ. فإذا أَمَرَ رَبُّنا عليك المطلوب فتسعد وتصبح فرحانا، وتقول الحمد لله لقد أدت ما عَلَيَّ فقد حمدت الله

ولم أتشوف، فلا أحزن إذا ما تأخر الطلب. أما الثاني يتململ ويقول: يا رب لقد دعوتك فلماذا لم تستجب لي! وهذا فيه اعتراض. ولكن التسليم المطلق أن تجعل لَهَجَكَ بالدعاء عبادة. هل فكرت في قول سيدنا رسول الله وهو يرشدك ﴿الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ﴾، أي اجعله عبادة ولا تجعله طلبا ولا تشوفا. ومن الذي يستطيع هذا؟ كلنا متمسكين بالدنيا.. مكلبشين فيها كلبشة الكلب في العظمة. أي والله مكلبشين فيها كلبشة بحيث أننا نحزن على المفقود ونفرح بالموجود. ولذلك فإن دعاء الصالحين هو: ﴿اللهم اجعل الدنيا في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا﴾ فدعاء الصالحين أنهم لا يحزنون على المفقود ولا يفرحون بالموجود. هم لا يتركون الدنيا بل يحصلونها لله، فإن فقدوها لا يحزنوا، ويقولون وما المشكلة، إنما لا نهتم فهي ليست لنا. إنها ملك الله يعطيها من يشاء. طَلَبُكَ مِنْهُ : اتِّهَامٌ لَهُ ..يعنى هات..اعطنى..إنما هو اتهام له لأنه يعلم حاجتك وسوف يقضيها. ألا تعلم أنه على كل شئقدير وأن بكل شئ عليم وَطَلَبُكَ لَهُ غَيْبَةٌ مِنْكَ عَنْهُ فاللهم وَصَلْنِي إِلَيْكَ..إذن معنى ذلك أنك لم تصل بعد وأنت غائب. وهذا كلام عال جدا. وَطَلَبُكَ لِغَيْرِهِ سبحانه وتعالى وليست له. فتطلب مثلا أن يشفى ابنك أو ينجحه أو يسدد ديون فلان لِقَلَّةِ حَيَاتِكَ مِنْهُ فلو كان عندك حياء لقلت: اللهم افعل الخير كله وَطَلَبُكَ مِنْ غَيْرِهِ فهي مصيبة. فمن غيره مصيبة لِوُجُودِ بُعْدِكَ عَنْهُ

فأنت بعيد جدا ولا بد عليك أن تسير في الطريق حتى
تستقيم لك الأمور مع الله.

الحكمة الثانية والعشرون

مَا مِنْ نَفْسٍ تُبْدِيهِ إِلَّا وَلَهُ قَدْرٌ فِيكَ يُمَضِّيه

يعنى شريط السينما الذي قلت لكم عنه سابقا. فلقد خلقنا الله، ومازال يخلقنا. وما من نفس يخرج أو من نفس يدخل إلا بقدر الله. ولو أنه قطع عنا إمداد الخلق لفينا. سوف نقفل مثل السينما. لو قطع الله إمداد الخلق فقط عن السماوات والأرض، وترك الملائكة خارج السماوات تتفرج، فلن يجدوا أمامهم شيئا.. لا المسجد الأزهر.. ولا نحن.. ولا الأرض ولا السماوات ولا الشمس.. ولا أي شيء. فإذا قطع الإمداد سبحانه فتضيع وتذهب. هل معنى ذلك أنني أُخْلَقُ خلقا جديدا كل يوم؟ نعم. هل كل يوم؟. هل كل لحظة؟ أبدا. هل كل ثانية، والثانية هي اللحظة؟ هل كل فيمتو ثانية؟. لا بل أقل من ذلك: ﴿اللهم لا تكلنا لأنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك﴾ ، ومعنى لا أقل من ذلك هو أن ذلك شيء غير متناهي. إذن فنحن وميض متتالي.. فلو انقطع عني الإمداد فلن أموت.. لأنه عندما أموت يكون جسدي موجود، ولكنني قطع الإمداد معناه أن أفنى وَيَفْنَى معي الْكَوْنُ. فينبهك الشيخ ويخفف ذلك الأمر عليك حتى لا يضيع عقلك فينقلها لك في صورة بسيطة مَا مِنْ نَفْسٍ وَفِي

الحقيقة هو أقل من ذلك بكثير ما من نفس تُبْدِيهِ إِلَّا وَلَهُ
قَدْرٌ فِيكَ يُمَضِّيهِ.

الحكمة الثالثة والعشرون

لَا تَتَرَقَّبْ فَرَاغَ الْأَغْيَارِ : فَإِنَّ ذَلِكَ يَقْطَعُكَ عَنْ وُجُودِ
الْمُرَاقَبَةِ لَهُ فِيمَا هُوَ مُقِيمٌ فِيهِ

فكلما ينبهك أحد ويقول لك صلى أو تزكى أو انجد نفسك، فتقول انتظر حتى أفرغ، فالشواغل والمشاكل كثيرة. إن هذه الشواغل والمشاكل لن تنتهى. يقول لك: اذكر الله. فيرد: أنا مشغول جدا. إذن متى يأتيك هذا الفراغ؟ الإجابة: عندما يُرْديك. يرديك تعنى يميئك. إذن فمتى يأتيك الفراغ؟! وكان أحد مشايخنا رحمه الله يقول: "لقد انشغلنا انشغالا يمكن أن نقول لعزرائيل عندما يأتينا شرعا حقيقة ليس لدينا وقت (مش فاضيين)"، وهذا من شدة الانشغال.. فليس لدينا فراغ. فكيف تنتظر إذن الفراغ إذا كان الأمر كذلك؟ أنت مشغول، وهذا لا ينفع يا اخوانى، ولا يجدى، فلا بد أن نبادر إلى الله وَنَفِرَ إِلَيْهِ. لَا تَتَرَقَّبْ فَرَاغَ الْأَغْيَارِ. وما هي هذه الأغيار؟ هي جمع غَيْر. وَمَنْ هَذَا الْغَيْر؟ إنه غَيْرُ الله. وَمَنْ غَيْرُ الله؟ إِنَّهُ الْكَوْنُ كُلُّهُ. ولقد أسموه السَّوَى، وكذلك أسموه الغير. فَإِنَّ ذَلِكَ يَقْطَعُكَ عَنْ وُجُودِ الْمُرَاقَبَةِ لَهُ. يجعلك منشغلا بالدنيا ولا تتذكر ربك أبدا. وعندما تقوم بأداء عملين أو ثلاثة سواء زكيت أو

صليت أو ذكرت تكون فرحا بنفسك مثل الديك الجركسى بالرغم من أنه هو الذي وفقك إلى ذلك وخلق فيك فعل الطاعة فما كان منك إلا أن يجب عليك بذلك الحمد والشكر. فإذا حمدته وشكرته فلا بد عليك من الحمد مرة ثانية والشكر مرة ثانية على أن وفقك على أن حمدته وشكرته. ولن ننتهى بذلك فنقول ﴿ لا نحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك ﴾ . فَإِنَّ ذَلِكَ يَقْطَعُكَ عَنْ وُجُودِ الْمُرَاقَبَةِ لَهُ فِيمَا هُوَ مُقِيمٌ فِيهِ. طلب منا العبادة.. وطلب منا العمارة.. وطلب منا تزكية النفس. وسُئِل بعض العارفين متى يستريح الفقير؟ الفقير إلى الله شأنه شأن محتاج إلى الله دائما فهو مع الله دائما لا ينساه. الفقير إلى الله دائما في السير إلى الله. تجد الفقير لو أن الغنى - غنى الدنيا وفقير الدنيا - يعطيه شئ كل يوم فتجده ملازما له كل يوم. أرايت كيف؟ فهو يشحت. وهذا يشحت من الله فهو يقف على باب الله. وعندما يشحت من الله ووجد النعمة فلا يريد أن يذهب.. واقف دائما. سُئِل بعض العارفين متى يستريح الفقير من هذه الوقفة؟ فقال: إذا لم يرى وقتا غير الوقت الذي هو فيه. يستريح عندما يتلذذ بفعل الله فيه فيكون مرتاحا ومبسوطا. وإذا قلت له أن يذهب ويغادر فيرد عليك: وكيف أمشى أين أذهب!.

الحكمة الرابعة والعشرون

لَا تَسْتَغْرِبْ وَقُوعَ الْأَكْدَارِ مَا دُمْتَ فِي هَذِهِ الدَّارِ

فَإِنَّهَا مَا أَبرَزَتْ إِلَّا مَا هُوَ مُسْتَحَقٌّ وَصَفِهَا وَوَاجِبُ نَعْتِهَا

وهذه الدار دار تكليف وابتلاء وامتحان. حتى قال البعض:
اللهم أخرجنا من دار (البلا بلا بلا) البلاء بلا بلاء. فهذه
دار البلاء أصلا. وعندما تأتي الأكدار..من ضيق..من
أزمة..من مرض..من سقوط في امتحان لا قدر الله - أنجح
الله الطلاب - لا تحزن فهذا شأن هذه الدار. أنها كبوة
فربوة فحبوة فنبوة. فَإِنَّهَا مَا أَبرَزَتْ إِلَّا مَا هُوَ مُسْتَحَقٌّ فهذا
هو شأنها كلها. كلها كدر. إِلَّا مَا هُوَ مُسْتَحَقٌّ وَصَفِهَا
وَوَاجِبُ نَعْتِهَا. فما اسمها؟ الدنيا. وهذه الدنيا من الدُّنُو ومن
الدَّناءة. فإذا كان هذا هو اسمها..دنيا..فكيف تريدها أن
تكون دائمة لك أو خالية من الأكدار..صافية من
المنغصات..فالدنيا معناها أنها دنيئة.. وعندما يكون
الشخص دنيئا، فماذا تنتظر منه؟ هل تنتظر منه الأخلاق
العالية أو الصفات الباهرة. فهذا هو عملها.

الحكمة الخامسة والعشرون

**مَا تَوَقَّفَ مَطْلَبُ أَنْتَ طَالِبُهُ بِرَبِّكَ، وَلَا تَيْسَّرَ مَطْلَبُ أَنْتَ
طَالِبُهُ بِنَفْسِكَ**

يعنى إذا توكلت على الله حق توكله وطلبت منه سبحانه
وتعالى له فإنك تصل بذلك إلى مرادك ويطابق ما في نفسك
ما هو مرادُ الله فترضى وتجد نفسك عبدا ربانيا إذا قلت

للشيء كن فيكون لا باعتبار ذاتك فإن ذاتك فانية إنما باعتبار موافقتك للحق سبحانه وتعالى مع الرضى التام والتسليم الأتم والتوكل والثقة بما عند الله سبحانه وتعالى حتى وكأنك ترى ما في الكون إنما هو مرادك أنت. والأمر ليس كذلك فما القلب عندك إلا مَجَلَى لصفات الله سبحانه وتعالى يظهر فيها إذا ما رفعت الحُجُبَ عنه فتتلاً الأنوار وتنكشف الأسرار ويهدأ البال ويصلح الحال، فالحمد لله رب العالمين.

الحكمة السادسة والعشرون

مِنْ عَلَامَاتِ التُّجَحِّ فِي النَّهَايَاتِ: الرَّجُوعُ إِلَى اللَّهِ فِي
الْبِدَايَاتِ

يعنى ما بُنِيَ عَلَى حَقٍّ دَامٍ وَاتَّصَلَ، وَمَا بُنِيَ عَلَى الْبَاطِلِ انْهَدَمَ وَانْفَصَلَ. وَإِذَا بَدَتِ الْبِدَايَاتُ صَحِيحَةً كَانَتْ النَّهَايَاتُ عَلَى غَايَةِ التُّجَحِّ وَالْقَبُولِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. فَكَيْفَ تَكُونُ الْبِدَايَاتُ؟ وَمَا النَّهَايَاتُ؟ الْبِدَايَاتُ هِيَ الْإِلْتِزَامُ بِالشَّرْعِ الشَّرِيفِ، فَمَا مِنْ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا وَأَمَرَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَنَهَى عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ: أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَمْ يَعْكَسْ فَيَأْمُرْ بِمُنْكَرٍ أَوْ يَنْهَى عَنْ مَعْرُوفٍ. تَصَحُّحُ الْبِدَايَاتِ أَنْ تَلْتَزِمَ بِهَمَّةٍ بِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ، وَأَنْ تَنْتَهَ عَمَّا نَهَاكَ اللَّهُ عَنْهُ، أَيْ أَنْ تَلْتَزِمَ مَعَالِمَ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ الَّذِي مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ لِلْعَالَمِينَ عِشَا

وإنما جعله سببا لخيرهم ولحسن معاشهم وارتياشهم ولحسن معادهم ورجوعهم إلى الله سبحانه وتعالى يوم القيامة. والالتزام بالشرع الشريف يبدأ بالطهارة فإنها مُقَدِّمَةٌ الصلاة، والصلاة عماد الدين وذُرْوَةٌ سَنَامِهِ وأعلى الأمر وخير موضوع والفرق بيننا وبين الكافرين والمشركين. لا يسجد أحد على وجه الأرض لربه إلا المسلمون ولا يتوجهون إليه بتلك العبادة إلا هم. فهم خير العابدين جَمَعُوا في تلك العبادة ما عليهم الملائكة الكرام في المَلَأُ الأعلى، فمنهم راکع ومنهم ساجد ومنهم قائم ومنهم تالٍ ومنهم ذاکر ومنهم من يصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنهم من يتوجه ومنهم من يتعلق ومنهم من يخشع، فجمع المسلم بين ذلك كله في صلاته فتوجه إلى القبلة طاهرا خاشعا وسجد لربه. راکعا قائما.. مصليا ذاکرا.. تاليا مسبحا، فجمع بين أنواع العبادات التي كانت عليها الملائكة ولا زالت في المَلَأُ الأعلى. تصحيح البدايات بآداء الزكوات وصيام رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا على سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ولا يقبل الله ذلك كُلَّهُ إلا بِحُبِّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وَحُبِّ آل بيته. فإن حب النبي المصطفى والحبيب المجتبي وحب آل بيته من أركان الإيمان. لا يقبل الله عدلا ولا صرفا ممن لم يُدْخِلْ حُبَّ النبي قَلْبَهُ. فإذا دخل حب النبي قلبك فاعلم أنك على الخير وأنت مختوم لك بالسعادة. وإذا كان على غير ذلك فهذا هو الخذلان المبين ويجب عليك أن ترحل مما أنت

فيه إلى رضوان الله بأن تحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولا يتم حبه صلى الله عليه وسلم إلا بحب أهل بيته. قال صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَبَدًا كِتَابَ اللَّهِ وَعِترَةَ أَهْلِ بَيْتِي ﴾ ، ترك فينا كتاب الله نهتدى به، وترك فينا عترة أهل بيته نحبههم بحبه ونوقرهم بتوقيره ونُبْتَلَى فيهم ببلوتنا.. ونُكَلَّفُ فيهم بتكليفنا لله.. فينبغي علينا أن نصبر عليهم وألا نغتابهم وأن نقوم بهم وألا نجعلهم يحتاجون إلى الناس وأن نعتقد فيهم حسن الخاتمة وأن نتألم لمن عصى الله منهم وأن نرده ردا جميلا وأن نبكى عليه بكاءنا على أولادنا وآباءنا وأن نُحِبُّهُمْ أَكْثَرَ مِنْ حُبِّ أَهْلِنَا. لا يقبل الله صرفا ولا عدلا إلا بحب النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم. ومن حبه حب آل البيت الكرام. من أجل أن الطهارة كانت أول البدايات قالت السيدة نفيسة لما مات الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه وكان إمام الدنيا وناصر السنة وكان من أهل البيت الذين يَحْرُمُ عليهم طَلَبُ الزكاة، بنو هاشم وبنو المطلب، وهو كان من بنى المطلب، وكان الإمام الأجل. قالت: رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ يَحْسِنُ الْوُضُوءَ فَإِذَا أَحْسَنَ الْوُضُوءَ فَقَدْ صَحَّحَ الْبَدَايَاتِ.. ومن صحح البدايات أَنْجَحَ الله له النهايات. فأشارت بالبداية إلى النهاية. بعض الناس القاصرين يظنون أنه يحسن الوضوء أي كأن وضوءه على درجة ضعيفة ويعلم قليل يادوبك هه. لا! بل كان يحسن الوضوء هو شئ آخر. كان يحسن الوضوء أي أنه كان على

علم وإخلاص، وكان على الطريقة المحمودية، وكان على الشرع الذي أمرنا أن نتمسك به، فصار إمام الدنيا نذكره إلى يومنا هذا. وهو صاحب مصرنا هذا لأنه مدفون فيها. ولذلك شاع مذهبه هنا وأصبحت مصر من أركان المذهب الشافعي عبر التاريخ. كان رحمه الله يحسن الموضوع فترحمها حكمة وذكرها للبدايات حكمة. وفيها إشارة إلى ما معنا اليوم أن نجح النهايات إنما يكون بتصحيح البدايات من علامات النجاح في النهايات الرجوع إلى الله في البدايات ومنها قولهم ما بُنى على باطل فهو باطل أي وما بنى على الصحيح فإنه يصح. وإذا تركت العود يئب يعوج فإذا أقمته استقام. فإذا أقمته في بداياته نجح في الإقامة في نهاياته. وكذلك من تربى على مثل هذه الأخلاق صغيرا فإنك تُوقره كبيرا.

الحكمة السابعة والعشرون

مَنْ أَشْرَقَتْ بَدَايَتُهُ.. أَشْرَقَتْ نَهَائَتُهُ

فالله كريم. والكريم إذا وهب ما سلب. فإذا قد حافظ عليك الله في بداياتك وعصمك في شبابك كان ذلك علامة ودلالة على أنك سيختم لك بخير. أما إذا كانت البدايات ليست مشرقة بل مظلمة بأن كانت عاملة ناصبة ونعوذ بالله. ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿﴾ (الكهف 103-104)

104)، وهناك بعض الناس على هذا الحال بالفعل، ﴿وَرُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ﴾ سيدنا رسول الله يقول لنا هذا. رُبَّ عابد ليس له من عبادته إلا النصب..إلا التعب. وبعضهم هناك في الأديرة وهكذا إلى آخره وهم على غير الحق يعبدون الله بالليل والنهار ظانين أنهم على خير وهي عاملة (أي أنها تبذل مجهودا).. ناصبة (أي أنه تعبانه). ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً* تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ (الغاشية 3-5)، تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية لأنها منحرفة عن الصراط المستقيم وعن العقيدة الصحيحة وعن مُرَادِ الله من كونه وعن توحيده وتفريده سبحانه وعن نسبة الألوهية لغيره إذن مَنْ أَشْرَقَتْ والإشراق بماذا يتم؟ وما الذي أشرق؟ الشمس! وما شمس الأمر؟ شَمْسُ الْأَمْرِ هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أضاءت الدنيا بوجوده. شمس الأمر أن تجعل رسول الله ديدنك وإمامك وأسوتك الحسنة. فإذا فعلت ذلك فقد أَشْرَقَتْ بداياتك. أما إذا تركت رسول الله وذهبت يُمْنَةً ويسرة فإنك لا تكون على الخير مهما عملت مَنْ أَشْرَقَتْ بِدَايَتُهُ.. أَشْرَقَتْ نِهَآيَاتُهُ.

الحكمة الثامنة والعشرون

مَا اسْتُودِعَ فِي غَيْبِ السَّرَائِرِ، ظَهَرَ فِي شَهَادَةِ الظَّوَاهِرِ

على وشك يبان يا نداغ اللبان. فالشيء الذي يوجد بالداخل سوف يظهر بالخارج ولا بد. لابد تعرفهم في لحن القول فيجب أن تفلت كلمة من هنا أو هناك، وهكذا. ﴿ خَيْرُكُمْ مَنْ إِذَا رَأَهُ النَّاسُ ذَكَرُوا اللَّهَ ﴾ هكذا يقول النبي عليه الصلاة والسلام. ينظر إليك فيتذكر الله، وفهناك ناس تنظر إليها تتذكر الشياطين في الحال. ولكن هناك مَنْ إِذَا رَأَيْتَهُ ذَكَرْتَ اللَّهَ. وجهه منير وحلو. من أين له هذا. من طول القيام بالليل قال أهل الله: مَنْ طَالَ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ أَنْارَ وَجْهُهُ فِي النَّهَارِ فهكذا يقول أهل الله. وذلك من الذكر، لأن القلب بيت الرب سبحانه وتعالى فمن عَمَّرَهُ بذكره أَنْارَ بِهِ وَجْهَهُ. فتجد المسلمين وجوههم منيرة، وتنظر إلى الآخرين ومع أنه أبيض ليس أسمر ولا قمحي لكنه أبيض شاهق ومع ذلك يشع ظلمة. فهناك فرق بين من يشع ظلمة ومن يشع نور. وهذا يأتي من الإيمان ويأتي من القلب الذي بالداخل، وينعكس على الظواهر. إِذَا خَشَعَتِ الْقُلُوبُ خَشَعَتِ الْجَوَارِحُ، إِذَا خَشَعَتِ الْقُلُوبُ ظَهَرَ ذَلِكَ عَلَى جَوَارِحِهِ فَيَسْمُونَهُ بِالسَّمْتِ. ويقول عليه سمت الصالحين. يعنى تنظر إليه تشعر وتعرف أنه صالح عليه سمت الصالحين. ويظهر ذلك في النظر فتجد الولد منهم عينه تذهب هنا وهناك والننى يجرى يمينا ويسارا، حيران. لكن الآخر تجده رزين دفيان (دافى) فهناك فرق بين الدفيان والحيران، فإذا كان قلبك دفيان فسوف يظهر ذلك على جوارحك، وإذا كان قلبك حيران فيظهر هذا على جوارحك.

ونعوذ بالله من التعبان. فهُم ثلاثة: تعبَان وحيران
ودفيان فاللهم اجعلنا من صنف الدفيان، ولا تجعلنا من
صنف التعبان ولا الحيران. إذن الشئ الذي بالداخل يظهر
بالخارج. وكل إناء بما فيه ينضح والعوام هنا يقولون
الكلام الذي بدأنا به على وشك يبان يا نداغ اللبان
فأنت تمضغ اللبان في فمك وتخفيها فلا تفتح شفايفك لكن
سوف يظهر عليك وأنت تقوم بتحريك الفم. فانظر إلى
الرجل وانظر إلى أثر هذا في الناس. يعنى هم قالوا كل إناء
ينضح بما فيه وإلى آخره من الحكمة مَا اسْتُودِعَ فِي غَيْبِ
السَّرَائِرِ ظَهَرَ فِي شَهَادَةِ الظَّوَاهِرِ الشَّيْءُ الْمَشَاهِدِ الْخَارِجِ
الظَّاهِرِ أَمَامَ النَّاسِ تَتَعَلَّقُ بِهِذَا. بعض الناس يوافق ويرأى
ويحاور. وإنه لا ينفع ولا يعرف فهو يحاول قليلا وبعد ذلك
يمل ولا يستطيع أن يُكْمِلَ ولا يعرف أن يستمر. لكن الثاني
مستمر.. دائما.. تغيب عنه عشر سنين وترجع له تجده كما
هو. لكن الشخص الأول الذي يمثل يمل ويغير ويصعد
وينزل. قال دلائل الحب لا تخفى على أحد كحامل
المسك لا يخفى إذا عبق يعنى من يضع المسك رائحته
تفوح. فهل يعرف أن يمنع فوحانه! إنه سوف يظهر عليه
مهما أخفى نفسه. لأن التقى الخفى محمود عند الله، لكن
مهما اختفى إلا أنه يكون ظاهرا. رأيناهم كثيرا في حياتنا.
وكان منهم الشيخ عبد الرحمن حسن رحمه الله تعالى عاش
وحيدا ومات وحيدا واشتغل بالعلم بالليل والنهار وكنت إذا
رأيت رأيت الأنوار تتلألأ على صفة النبوة كأن الله قد أورثه

نورا. وكان منهم الشيخ صالح الجعفرى الذي كان يجلس في هذا المجلس رحمه الله ورضى عنه. كم نفع الله به الناس كان منيرا في وجهه حُلُوًّا في منطقته عذبا في كلامه محبا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويوصى الناس بحبه ويُعَلِّم الناس حبه صلى الله عليه وآله وسلم. عاش على الخير ومات على الخير وها نحن نذكره بالذكرى الحسنة بعد ممات أولئك الأفاضل. من الذكرى الحسنة التي نذكر الناس عليها وهذا من رحمة الله بنا وبهم رضي الله تعالى عنهم.

الحكمة التاسعة والعشرون

شَتَانُ بَيْنَ مَنْ يَسْتَدِلُّ بِهِ أَوْ يَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ. الْمُسْتَدِلُّ بِهِ عَرَفَ الْحَقَّ لِأَهْلِهِ وَأَثَبَتِ الْأَمْرَ مِنْ وُجُودِ أَصْلِهِ. وَالْإِسْتِدْلَالُ عَلَيْهِ مِنْ عَدَمِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ: وَإِلَّا فَمَتَى غَابَ حَتَّى يُسْتَدِلَّ عَلَيْهِ، وَمَتَى بَعْدَ حَتَّى تَكُونَ الْآثَارُ هِيَ الَّتِي تُوصِلُ إِلَيْهِ

شَتَانُ أي هناك فرق كبير بَيْنَ مَنْ يَسْتَدِلُّ بِهِ أَوْ يَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ. مَنْ يَسْتَدِلُّ بِهِ يعنى خلاص كل ما أَنْ تقول له شئ يقول لك أنا في أزمة فتقول له ولكن الله موجود يا أخى. هُوَ مؤمن بالله إيمانه لا يتزحزح ثم بعد ذلك تكلم بهذا الإيمان ومن يَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ فهم أصحاب علم الكلام والتوحيد والرد على الشبهات وكذا. نعم ينبغي أن يكون هذا في مقام جدال

الكافرين لا في استحضار الأدلة للمؤمنين فإن الله سبحانه وتعالى لا يحتاج أن يستدل عليه أحد فهو أظهر من كل الأكوان ومن الدليل. فما هو الدليل الذي يدل عليه، إذا كان هو الأصل. فأنت لا تعرف كيف تتصور الدنيا بدون الله.. وأنت لا تعرف كيف تعيش بدون الله.. وأنت لا تستطيع أن تشعر بوجودك بدون الله. إذن ما هذا الكلام الفارغ. فإذا قال أحد ما هو الدليل على وجوده، نقول له: أقم أنت الدليل على عدم وجوده، إذا كانت لديك القدرة. إنه موجود.. سبحانه وتعالى بل هو واجب الوجود.. بل هو الوجود الحق.. سبحانه وتعالى. وكل ذلك باطل.. فأن.. حَادِث.. له نهاية.. وله بداية. أما الله الذي لا إله إلا هو خالق السماوات والأرض فهو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى 11)، وهو ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الرعد 16)، فإنه سبحانه ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (الأنبياء 23)، فهو ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (البروج 16)، ﴿خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات 96). شَتَانُ بَيْنَ مَنْ يَسْتَدِلُّ بِهِ فيقول لك: اتق الله يا أخى.. الله موجود.. اتق الله.. لا تظلمنى.. ويتكلم هكذا.. فالله حقيقة لا تحتاج إلى كلام.. فهو منطلق من الله. أما الآخر فيا حسرة عليه.. إنه مازال يبحث عن الله.. فليبحث.. وليستمر باحثا.. إنه حيران.. وقد يكون تعبانا. شَتَانُ بَيْنَ مَنْ يَسْتَدِلُّ بِهِ أَوْ يَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ الْمُسْتَدِلُّ بِهِ عَرَفَ الْحَقَّ لِأَهْلِهِ.. وهل هناك أوضح من ذلك.. ولا يصح في الأفهام شئ إذا احتاج النهار إلى دليل.

قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ وَيُنْكِرُ الْفَمُ طَعْمَ
الْمَاءِ مِنْ سَقَمٍ

قطعا لا يَصْحُ في الأفهام شئ إذا احتاج النهار إلى دليل.
المُسْتَدِلُّ بِهِ عَرَفَ الْحَقَّ لِأَهْلِهِ وَأَثَبَتِ الْأَمْرَ مِنْ وُجُودِ أَصْلِهِ.
أصل هذا الوجود هو الله. والاستدلالُ عَلَيْهِ مِنْ عَدَمِ الْوُصُولِ
إِلَيْهِ.

يقولون إن الإمام الرازي أَلَفَ كتابا فيه أَلَفَ دليل على وجود
الله (وبعض ينسب ذلك إلى الآمدي.. السيف الآمدي بدلا
من الإمام الرازي)، أي أنه ذكر ألف دليل على وجود الله،
فأقاموا له حفلة.. وركب برزون (والبرزون فرس جميل مُزَيَّن)
يدور به في البلدة، وهي نيسابور (مثل الموالد التي تقوم بها،
حفلة يعنى) احتفالا به في نيسابور (وهي حاليا من بلاد
إيران)، فرأت ذلك امرأة عجوز فقالت: لماذا هذه الحفلة؟
فأجابوها إنها لأحد كبار العلماء لديهم.. حُجَّةَ الإسلام.. إمام
الأئمة.. فخر الدين.. ألف كتبا أورد فيه ألف دليل على وجود
الله. فقالت على الفور: أو كان عنده أَلَفَ شك!.. هل كان
عنده أَلَفَ مشكلة.. ألف شك على وجود الله كيف يحضر
لها أَلَفَ دليل يرد بها ليثبت وجود الله. فسمعها الإمام
المؤلف وهي تقول ذلك، فقال: اللهم إيماننا كعجائز
نيسابور. هذا هو الإيمان الصحيح. هل يحتاج الله إلى دليل.
لقد قام الإمام بتأليف الكتاب ردا على المتحيرين
والمخائبين، لكن في نفس الوقت يطلب إيماننا كإيمان
عجائز نيسابور الذين هم على الفطرة. أي أنه لم ينس نفسه.

إذن هو اثنان: مؤمن بينه وبين الله لا يحتاج إلى أدلة.. ولكنه سرد الأدلة للآخرين.. للحائرين.. لغيرنا. فإن الإيمان نعمة نحمد الله عليها. والاستدلال عَلَيْهِ مِنْ عَدَمِ التَّوَصُّلِ إِلَيْهِ فمن يريد أن يستدل عليه لم يعرفه بعد. ولكن فيما عرفناه نحن؟ يا سلام! لقد عرفناه في الرحمة.. وعرفناه في النعمة.. وعرفناه في استجابة الدعاء.. وعرفناه باللطف الجارى بنا.. وعرفناه برفع المصائب عنا.. وعرفناه في كل لحظة وفي كل نفس.. في كل خطرة وإلا فَمَتَّى غَابَ حَتَّى يُسْتَدَلَّ عَلَيْهِ أنت تستدل على الغائب وهو غائب ولكنه قريب ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (البقرة 186) فلا تَقُلْ أن الله بعيد. وَمَتَّى بَعْدَ حَتَّى تَكُونَ الْآثَارُ هِيَ الَّتِي تُوصِلُ إِلَيْهِ الله سبحانه وتعالى أظهر من الظهور.. وأظهر من الأكون.

الحكمة الثلاثون

﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ﴾ الواصلون إِلَيْهِ، ﴿ وَمَنْ قَدَرِ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ﴾ السَّائِرُونَ إِلَيْهِ

يعنى كل واحد على قدر ما يستطيع (قد لحافه) أي بالذى رزقه الله به. هناك الواصلون إليه أصحاب الدرجات العلا، أصحاب درجة القرب والحديث معه سبحانه وتعالى. وهؤلاء

رزقهم الله من سَعَةٍ وأَجْزَلٍ لهم العطاء في قلوبهم وأرواحهم وعقولهم وأنفسهم، فأنفقوا من هذا العطاء لمن حولهم حتى إذا ما رأيتَه ذَكَرْتَ الله وكان سببا لرؤية رحمة الله في العالمين. كان منهم سيدنا الشيخ محمد أمين البغدادي رضي الله تعالى عنه وأرضاه، منقطعا لذكر الله مخلصا في قلبه له سبحانه لا يتوجه لسواه، فجاءه الشيخ أحمد مرسى ومعه ابنته بل أخته الصغيرة فلم يكن الشيخ أحمد مرسى قد تزوج بعد فكانت أخته الصغيرة. وكان هناك طبيب عيون كبير فقال له خلاص لقد عميت وأصبحت لا ترى وانتهى الأمر فلقد أخذ الله حبيبتها. فحمل البنت وسنها تسع سنين وذهب إلى الشيخ. والشيخ كان يجلس هنا في مجلس الظاهر (جاشنكير) بعد سيدنا الحسين على يدك اليمنى بالداخل أمام حَمَامَاتِ الجمالية في الخلوات هناك حيث كان يجلس في الخلوة الثانية من على يدك اليسرى وأنت داخل، ودفن في هذا المسجد. فذهب إليه وقال له الطبيب يقول إنها ضَرَّتْ بصرها وأصبحت عمياء فماذا أفعل بها. الرجل عندما يفقد بصره يعرف كيف يتصرف فيذهب ويأتي، لكن هذه ماذا أفعل بها إن شاء الله. فقال له هذا قَدَرُ يا أحمد. قال له نعم هذا قَدَرُ، وخلاص الله عَمَلُ قدره فقل له كما أعمأها أن يرد بصرها. قال له (ايهي) ماذا أفعل، هذا قدر الله أذهب بصر البنت. فقال له أنا لن أقوم من هنا. رأيت الدلال على الله.. رأيت الثقة في الله.. رأيت شأن الواصلين إليه كيف يكون رحمة للعباد. فقال له أنا لن أقوم

من هنا حتى تجد حلا. فقال له إذن أغلق الباب، وقم بفك الغماض الذي يغطي عينها. فقام بفكه. فصلى على رسول الله ونفخ فيها وقال اللهم صلى على سيدنا محمد. ونفخ نفخة في عينيها فَرُدَّ بَصَرُ الفتاة إليها وتعلقت برقبته. كان الشيخ أحمد مرسى حينئذ بلا لحية وسيدنا الشيخ مُلْتَحَى فقالت له ما هذا وتعلقت في لحيته. وهذا يعنى أن الفتاة تبصر. فقال لها لحية. فسألته ولماذا يكون لديك لحية. فقال لها لأنى رجل. فقالت له وأخى أحمد أليس رجلا.. وأخى أحمد يعنى أليس رجلا؟ فقال لها رجل إن شاء الله. فقالت له إذن ولماذا لا يوجد لديه لحية. فقال يكون له إن شاء الله. فأطلق الشيخ لحيته من حينئذ. قال له لوجه الله لا تخبر أحدا ما حييت. كانوا يحبون ستر أنفسهم لأنهم إذا عُرِفُوا فسوف يقفون لهم بالطواير ويتحول الشيخ إلى شبه الدجاجة. رأيت الفرق بين الدجال الذي يعلن الإعلانات عن نفسه إن عنده قدرة الشفاء وعندى مقدرة كذا، وانظروا إلى الواصلين إليه لِيُنْفَقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ فقال له لوجه الله يا أحمد لا تخبر أحدا بما رأيته.. بلاش عشان خاطر النبي. فقال له حاضر. فقال نأخذ العهد وأخذ العهد على ذلك.. عهد الله. فقال له ماذا أفعل الآن لو ذهبت إلى بيتي فسوف يجدونها مبصرة وهذا شئ غريب. فقال له لا أنت تذهب إلى الطبيب مرة أخرى وبعد ذلك الطبيب يكشف عليها فيجدها شفيت بإذن الله، وخلاص يكون الأمر قد انتهى. فقال له حسنا. وذهب إلى الطبيب وغمضها مرة

أخرى بالغماض فالطبيب فتحه وكشف فقال له ما هذا أين كنتم، ومن الذي كنتم عنده؟ فقال له لم نكن عند أحد. فقال له أنت تكذب، فالبنت كان عندها انفصال في الشبكية ولقد وُصِلَ هذا الانفصال، فكيف وَصِلَتْ (الآن يجرون هذه العملية بالليزر ولم يكن حينها قد تم اختراع الليزر) فكيف هذا.. عليك أن تخبرني حالا عمن فعل هذا؟ فقال له لا أحد إنه الله الذي فعل هذا. فقال له أنا أعلم أن الله هو فاعل هذا ولكن من فعل هذا من البشر أو من الظاهر. وخرج وَحَدَّثْتُ للطبيب حالة جلال.. وقال لهم يا إخواننا جاءكم الفرج.. جاءكم الفرج.. خلاص أتاكم الفرج. هل يعقل هذا! فالمهم يا إخواننا الوَاصِلُونَ إِلَيْهِ يقول الإمام السيوطي: لا بد منهم في الأمة.. يعنى لا بد من ناس تُخْلِص وتقطع عن علائق الدنيا وتحب الله ورسوله حتى تكون نبراسا للآخرين فلا تبقى المعصية هي الشائعة. وكل ما يظهر واحد يكون نصف نصف وربع ربع. حسنا فلنترك الربع ربع والنصف نصف موجودين ولكن لا بد من واحد أو اثنان أو ثلاثة تلجأ إليهم الأمة.. ترجع إليهم في الدعاء.. يدعون الله فيستجيب. فكنا ممن رأينا من تلامذة الشيخ محمد أمين البغدادي الشيخ أحمد حمادة كان يجلس هنا في فناء الأزهر مات عن تسعين سنة رضي الله تعالى عنه وأرضاه. ولم يتزوج وانقطع للعبادة لله. وكان يتوضأ ويجلس يصلي الضحى فيستغرق فتأتي الشمس حارقة شديدة في الصيف وهو لا يحس أنه في الفناء.. نقول له ادخل بالداخل يا سيدنا الشيخ

في الظلة (فهذه اسمها الظلة الفاطمية يا إخواني.. ما نحن فيها هذه تسمى الظلة الفاطمية أتوا بها من ظلة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي هي التعريشة.. المسقوف) وهو غائب. وبعد أن ينتهي من الصلاة يدخل في الذكر، وبعد الذكر يدخل في القرآن، وبعد أن يختم القرآن (وكان يحفظ القرآن بالعشرة وكان شافعيًا) كان يقرأ المجموع. وهكذا كان جالسًا للعبادة دائمًا. ولم يفكر في الزواج أبداً إلا قبل وفاته بسنة ومات وعنده تسعين سنة وعندما كان في عامه التاسع والثمانون فكر في الزواج، لماذا؟ لأنه كان يريد أحداً أن يخدمه في الطهارات فتكشف عورته على محرم أو يعنى على ذات حلّ. فهاهم الناس الطيبين يا إخواني. فكان هذا الرجل يجلس في غرفة خلف السيدة سَكِينَة وكان في المحراب دائماً يصلي الضحى اثنا عشر ركعة والصلوات والنوافل ويصلي قيام الليل إحدى عشر ركعة وظل هكذا أبداً إلا في يوم واحد فقط وهو يوم وفاته. أصبحوا فوجدوه لم يقيم للوضوء فاستغربوا وقالوا الشيخ مُتَعَب فهو تسعين سنة فوجدوه قد مات بعد صلاة العشاء والوتر. كان رضي الله تعالى عنه عندما كبر في السن لا يستطيع يا إخواني أن يقوم إلا في صلاة الفريضة فإذا أتت صلاة الفريضة يقوم مثل السَّبع ويصلي صلاة تامة بأركانها وإذا سلم السلام عليكم السلام عليكم فيقول احملوني.. احملوني فهو لا يستطيع القيام.. البطارية انتهت. فما الذي يحدث له عندما يأتي الفرض. إنها قوة من عند الله فلم يصل جالساً أبداً في فرض

فإذا انتهى الفرض لا يستطيع ولو حاول القيام. فهل هذه كرامة مستمرة أم لا؟ نعم. وكان مستجاب الدعاء. هذه هي الفكرة.. الكرامة، وليس هشك بشك شكشكمان بكشمان وكل واحد يريد أن يصبح حاويا. لا بل كان مستجاب الدعاء. فكانت الناس تذهب إليه سائلين: أنا لدى شهادة وهناك امتحان أو هناك تأشيرة أريد أخذها من الأمريكان أو هناك أي شيء فيدعوا لهم.. أو غدا سوف أتزوج. ولم يتخلف أبدا في استجابة الدعاء عنه ربه. أي والله. ولكن كانوا محبين بصدق لله ورسوله. يُذكر اسم رسول الله فترى أعينهم تفيض من الدمع من الداخل.. وليس من الخارج.. ليس بعقله فهو من الداخل. الوَاصِلُونَ إِلَيْهِ فالحمد لله أننا رأينا بعضهم الوَاصِلُونَ إِلَيْهِ يحكى لك الشيخ أسامة عن الشيخ محمد زكى الدين إبراهيم، والأحوال التي كنا رأيناها عن الشيخ صالح الجعفرى. فماذا نقول، وماذا نحكى! وكل هذه الأمور بسلسلة ومنها أن الشيخ صالح وهو يخرج من هذا الباب (وأشار فضيلة الشيخ على جمعة إلى باب من أبواب الأزهر الشريف)، وكان عنده خادم يدعى سيد (وهو موجود إلى الآن) فيقول له: " يَا سَيِّد.. حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ " وينصبها هكذا حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ يعنى عليك حبَّ رسول الله.. إياك أن تترك حبَّ رسول الله.. إياك يا سيد. ولفظ يا سيد يعنى كلنا أي أننا كلنا. فحب رسول الله هو ركن الإيمان. الواصلون إليه يا إخوانى صدقوا ما عاهدوا الله عليه فصدقهم الله. والله سبحانه وتعالى أَوْفَى مَنْ وَفَى بِالذِّمَمِ. حسنا ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ

رَزَقُهُ ﴿ فَقَالَ عَلَى قَدِكْ يَا أَخِي أَيَّ اعْرِفْ قَدْرَكَ. ﴾ ﴿ أَحَبُّ
الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ جَهْدُ الْمُقِلِّ ﴾ ، فما جهد المقل؟ هذا يعني
أنه لا يوجد في جيبى سوى خمسة جنيهاً فتصدقت باثنان
وآخر في جيبه عشرة آلاف جنيه مصروف يد فتصدق
بألفين. فهل تعلم أن الجنيهاً من عندي أكثر بركة من ألفين
من عنده. وماذا سوف يأخذ الألفان عند الله؟ عشرة. إذن
عشرين ألف جنيه أي له عند الله عشرين ألف ثواب.
والجنيهاً عشرين (اثنان في عشرة بعشرين أيضاً). لكن هل
تعلم أن ثقل العشرين التي تخصني هو عشرين كيلو، وما له
هو عشرين ألف جرام. ولكن لماذا؟ لأن الاثنين طلعا من
قلة.. لا يوجد.. فالأثنان طلعا من جهد المقل.. لا أملك
سوى خمسة جنيهاً وأنا أريد سبعة وبالرغم من ذلك
أعطيت فأعطيت عن حاجة، والثاني أعطى ألفين من عشرة
آلاف فهو يصرفهم في الشوكولاتة. رأيت إذن كيف هو
جهد المقل! نرجع إلى الحالة الروحية ﴿ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ
رَزَقُهُ ﴾ السَّائِرُونَ إِلَيَّ اللهُ أيضاً يستجيب لهم الدعاء، لكن
ليس مثل سيدنا الشيخ محمد أمين البغدادي.. لكن عليك
بالدعاء أيضاً يا أخى.. فما تستطيع عمله أفعله.. جهد
المقل.. وسوف تأخذ ثواب وأيضاً تصبح نواره في وسط
أهلك وناسك.. أيها السائر إليه إذن فأنت لا تحقر أحداً..
لا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى

ولذلك قالوا: أَخْفَى اللهُ ثَمَانِيَةَ فِي ثَمَانِيَةِ:

أخفى اسمه الأعظم في أسماء الله الحسنى.. وأخفى السبع
المثاني في القرآن العظيم.. وأخفى ساعة الإجابة في يوم
الجمعة.. وأخفى ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان أو
في الوتر منها.. وأخفى الصلاة الوسطى في سائر
الصلوات.. وأخفى ساعة الإجابة في ثلث الليل الأخير فهي
أي ساعة أنت لا تعلم فتقوم الليل كله.. وأخفى الكبائر في
الذنوب حتى تقلع عن الذنوب كلها.. وأخفى وَلِيَّ الله في
الناس..

إذن عندما تقابل واحدا شكله لا يروق لك فإياك أن يحدث
في قلبك أنك أحسن منه.. إياك أن يحدث في قلبك أنه تافه
لا يُؤَبِّه له.. أليس بإنسان! إذن فاحترمه فقد يكون ولي الله.
وللأسف عندما يسمع الناس هذا فيقولون ألم يجد الله سوى
هذا، ألا يوجد غيره ليصبح وليا؟ يا سلام على كلامكم يا
مشايخ. لماذا لا تتركوا الناس يتعاملون بالكبر والزهو. فعندما
نقول له حضرتك يقول لا، أنا اسمي سعادة المستشار لأن
الدولة منحتني هذا اللقب، والولد الثاني يقول أنا اسمي
سعادة الدكتور.. معالي الدكتور، لأنني أصبحت وزيرا. حسنا
لكن أيضا لا تحقر عباد الله.. إياك. وَمَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ
رَفَعَهُ. وسوف يتليك ربنا. الشيخ أحمد مرسى الذي كنا
نتكلم عنه الآن لقي في سيدنا الحسين رجلا منورا.. أسمر
إنما وجهه كله يشع نورا، فأضمر في نفسه وهو بعيد على
بعد خمسين مترا أن يُقْبَلَ فوق يده، ولكن هذا الرجل

الأسم لا يريد ذلك. فلما قُرِبَ منه مسح يده في أنفه لكي يجعله في حالة قَرَفٍ منه فيقول له يا أخى لقد كنت عازما أن أقبل فوق يدك ولما فعلت ذلك فلا يدك ولا رجلك الله يخرب بيتك لن أقبلها. هكذا كان يريد، ولكن الشيخ أحمد مرسى كان واعيا فهو تربية مشايخ، فقال في نفسه وَلَوْ فما شأني بما فعلته، أنت مَنْوَّرٌ ووجهك يشع النور، فما شأني بما فعلته فَقَبَّلَ فوق يديه فقال هذه وهذه أيضا (أي قبلها من كل مكان). فقال له: يا بنى أنا مصاب بهذا الداء (الذي هو الزكام والرشح وكذا) وَأَصْبِرْ عليه إن شاء الله اللهم قِهْ هَذَا. فرأينا الشيخ إلى أن مات وله ثمانية وثمانون سنة لم يمسك منديل، ولم يستعمله.. أي والله العظيم. وكان له ابن وذات مرة كان يجلس فجاءه قليل من الزكام وبعض الرطوبات فعطس، فقال له الشيخ: يا أخى ألا ترى لنفسك حلا. قال له أحضره لي.. هاتوا الرجل الصالح هذا وأنا أقبل يديه فأنت عمرك لا تصاب بالزكام ولا كذا لأن هذا الرجل قد دعا لك. يا إخواني والله الدعاء مستجاب فرينا كريم وكل هذه بركة.. إياكم أن تفتقدوها.. إياكم أن تتركوا الله.. إياكم أن تتركوا البركة.. إياكم أن تتركوا الدعاء. قف أمام الله وأمام بابه حتى يرضى عنك ويفتح.. إياكم أن تستهتروا بهذا فالبركة لا يوجد أحسن منها والدعاء والصلة بالله لا يوجد شيء أحسن منه. سوف ترى الله في كل شيء فتصبح هكذا ماشى رباني.. رباني حتى تقول للشئ كن فيكون استجابة للدعاء.. تمد يديك إلى السماء يا رب فاذا به

يستجاب لك.. إياك.. حتى ولو كنت سائرا إليه قبل الوصول
لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ الْوَاصِلُونَ إِلَيْهِ ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ
رِزْقُهُ﴾ السَّائِرُونَ إِلَيْهِ .. إياك أن تحقر عباد الله فإن الذي
أمامك قد يكون وليا. يقول أبو مدين: وكن مهما قدموك وراء
(أي في الخلف) قال ذلك وهو يُعَلِّم الآداب في السير إلى
الله. كن دائما في الخلف، وإذا قيل لك تفضل، فقل لا، أنا
في الخلف هنا. لكن على أن يكون ذلك من الداخل ليس
من الخارج وتقول أنا متأخر، وخادم القوم سيدهم فلا يكون
هناك فائدة فيما تفعله.. تتأخر من أجل أن تتفاخر أمام
نفسك.. إياك. تأخر وأنت موقن أن هذا مكانك.. موقنا أن
هذا مكانك تماما وأن هذا هو موضعك الحقيقي أن تكون
في الخلف فسوف يرفعك الله وَيُقَدِّمَكَ ويلقى عليك من
محبه ما يجعل الناس ينظرون إليك فيحبونك، فإنَّ الله إذا
أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا
فَأَحْبُوهُ.. فيبلغ جبريل إلى الملائكة.. إلى كذا.. إلى أن يصل
إلى الأرض فيُلْقِي عليك مَحَبَّةً مِنْهُ كَمَا أَلْقَاهَا عَلَى مُوسَى. ﴿
وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ (طه 39) ، فالواد فرعون كان
ينظر إلى سيدنا موسى عليه السلام فيحبه، وهو يعلم من
النجوم والخريطة التي هم فيها أنه قاتله، لكنه ليس لديه
القدرة ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال 24) يريد أن يقتله، وقال ذلك بالفعل،
قال سوف أقتله، ولكن عندما جاءه قال له ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ
فِينَا وَلِيدًا﴾ (الشعراء 18). ما بك ألا تستطيع قتله رغم أنك

كنت تقتل بالنظرة، فهل تستطيع فعل ذلك.. هل تستطيع أن تدهمه بعينك؟ ومن مواجهة يقول له يا ابني ليس هكذا! فهل هذا كلام فراعنة! ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعَلَتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (الشعراء 18-19)، فما هذا! هل هذا كلام.. فأين القوة.. أين كذا وكذا إلى آخره. لكن من أين؟ ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ (طه 39)، من أين؟ ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ (الأنفال 24)، لا يستطيع. فالله يجعلك هكذا، يُلقِي عليك القبول. فكانت أُمِّي دائمة الدعاء لي وتقول: **يا ابني اذهب ربنا يجعل في حَنَكِكَ سُكَّرَةً وَفِي وَجْهِكَ جَوْهَرَةً** أَرَأَيْتَ الكلام الذي يقوله الناس الطيبين. حنكك يعني فمك، فالحنك هو الفم. وفي وشك يعني وجهك. جوهرة يعني ينظر إليك الشخص يجد أمامه جوهرة ويسمع كلامك فيجده سكرة.. كلام حلو لكن فيه بركة.. دعاء حلو وفيه بركة.. فعيشوا في البركة

فאלلهم يا ربنا اغفر ذنبنا واستر عيينا وعلمنا العلم النافع.

الحكمة الحادية والثلاثون

اهْتَدَى الرَّاحِلُونَ إِلَيْهِ بِأَنْوَارِ التَّوَجُّهِ. وَالْوَاصلُونَ لَهُمْ أَنْوَارُ الْمُوَاجَهَةِ. فَأَلْأَوَّلُونَ لِلْأَنْوَارِ، وَهُؤُلَاءِ الْأَنْوَارِ لَهُمْ لِأَنَّهُمْ لِلَّهِ لَا لِشَيْءٍ دُونَهُ ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾

يعنى الخلق مُرَادٌ وَمُرِيد. فإذا كان الإنسان مُرِيدًا لله سلك طريقه، وترك زخارف الدُّنيا وَخَلَّى قَلْبُهُ من القبيح وَخَلَّى قَلْبُهُ بالصحيح، وَأَحْسَنَ نِيَّتَهُ لله وَأَعْلَى هِمَّتَهُ في السلوك إليه سبحانه وتعالى، فارتحل وهاجر من مَوَاطِنٍ سخط الله إلى مَوَاطِنٍ رحمة ورضاه. هؤلاء رضي الله عنهم، وهؤلاء هم الراحلون إليه، وهؤلاء هم السالكون في طريقه إلا أنه إذا مَنَّ الله على السالكين والراجلين والمهاجرين في سبيله جعلهم في مرتبة وَرَضُوا عنه. فإذا رَضُوا عن الله سبحانه وتعالى فما ذلك إلا أنهم من قبيلِ المُرَاد فتحول السالكُ من سلوكه وصبره على الطريق من كونه راحلا إلى كونه واصلا. فإذا وَصَلَ فإن الأنوار كانت تَهْلٍ عليه في الطريق إلى الله، فكانت للأنوار. النور في الطريق يسير الإنسان فيدخل فيه، فهو للأنوار سائر.. وللأنوار داخل. أما إذا وَصَلَ فإن النور هو الذي يَسْعَى إليه، فيتحول من الفاعل إلى مفعول.. ومن مُرِيد إلى مُرَاد.. ومن سالك إلى واصل. فيقول على هذه الحقيقة في مرتبة أولئك الصالحين أن هناك راحلا وهناك واصلا.

الراحلون: اهْتَدَى الرَّاحِلُونَ إِلَيْهِ بِأَنْوَارِ التَّوَجُّهِ النور بعيد وهم يسعون إليه. ومن لَدَّتِهِ وحلاوته وضيائه وَبَرَكَتِهِ يرغبون فيه. وبالرغم من ذلك إلا أن هذا النور ليس هو الله، بل هي لَدَّةُ العبادة وحلاوة الطريق وبركة السلوك. حتى هذه يتخلص منها الواصلون، فتأتيهم ولا يأتونها.. وتنزل عليهم ولا يطلبونها. لأنهم إنما طلبوا الله وحده، فارتفع الحجاب.. حتى حِجَابِ الأنوار وكشف الأسرار في الملك والملوك ارتفع عن قلوبهم.. لا يريدون

إلا الله، ولا يعرفون إلا الله، ولا يتوصلون إلا إليه. فَعَبَّرَ عن هذا بذلك القول الجميل اهْتَدَى الرَّاحِلُونَ إِلَيْهِ بِأَنْوَارِ التَّوَجُّهِ .
والواصلون: وَالْوَاصِلُونَ هُمْ أَنْوَارُ الْمَوَاجَهَةِ ، لا يريد إلا الله فَتَنْزَّلُ عليه الأنوار. هو الذي تَنْزَلُ عليه الأنوار. لا يطلب الأنوار.. حتى الأنوار.. وحتى لذة العبادة. فَأَلْوُلُونَ لِأَنْوَارِ سَارُوا وَهَؤُلَاءِ الْأَنْوَارِ هُمْ أَرَأَيْتُمُ الْمُقَابِلَةَ! أَرَأَيْتُمُ الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ! لِأَنَّهُمْ لِلَّهِ لَا لِشَيْءٍ دُونَهُ يَعْنِي حَتَّى الْعِبَادَاتِ هِيَ أَدَوْنُ مِنَ اللَّهِ وَهِيَ وَسِيلَةٌ تُوصِلُ إِلَى اللَّهِ. وحتى الأنوار هي أَدَوْنُ مِنَ اللَّهِ، وَهِيَ وَسِيلَةٌ تُوصل إلى الله وتجذبُ الراحلين إليه. لكن الواصلين لا يريدون لا أنوارا ولا أسراراً.. ولا فوائد.. ولا دعاء.. إنما هم قد أَحَبُّوا اللَّهَ، وَخَلَّى قُلُوبَهُمْ إِلَّا مِنَ اللَّهِ، فَمَلَكَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ نفوسهم وَتَنَزَّلَتْ على قلوبهم رحماته سبحانه وتعالى وأنواره حتى خرجوا من الرحلة إلى الوصول ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (الأنعام 91).

الحكمة الثانية والثلاثون

تَشَوُّفِكَ إِلَى مَا بَطْنَ فِيكَ مِنَ الْغُيُوبِ خَيْرٌ مِنْ تَشَوُّفِكَ إِلَى مَا حُجِبَ عَنْكَ مِنَ الْغُيُوبِ

الإنسان إما أن ينظرَ إلى الداخل وإما أن ينظرَ إلى الخارج. فيقول لك: حَاسِبْ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبَ، وَالْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ.. يَنْظُرُ إِلَى عِيُوبِهِ وَيُعْظِمُهَا حَتَّى يُزِيلَهَا، قبل أن ينظرَ إلى ما أَسَرَّهُ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْأَسْرَارِ أَوْ لَمْ يَكْشِفْ عَنْهُ

من أحوال. فإن التشوف للترقى نزول. انظر إلى الكلام: التَّشَوُّفُ
لِلتَّرَقَّى نُزُولٌ.. فلا تتشوف للترقى بل عاج نفسك أولاً فإن فاقده
الشيء لا يعطيه. واملأ قلبك أولاً بعد أن تُخَلِّيه من قبيح
الصفات بجميلها وإلا فإنك تكون قد ضيعت الأوقات. والأصل
في التصوف هو مراعاة الأوقات. الْوَقْتُ كَالسَّيْفِ إِنْ لَمْ تَقْطَعْهُ
قَطَعَكَ. قال الشافعي رضي الله عنه: صاحبُ الصوفية
فاستفدت منهم كلمتين: (الْوَقْتُ كَالسَّيْفِ إِنْ لَمْ تَقْطَعْهُ قَطَعَكَ)
، و (لَا تَتَحَسَّرَ عَلَى مَا فَاتَكَ). ومعنى ذلك أنه لا حول ولا
قوة إلا بالله.. يعني لا يَكُونُ في كونه سبحانه إلا ما أراد.. يعني
التسليم والرضا.. يعني التوكل عليه سبحانه حق التوكل.. يعني عدم
التأثر بالمصائب ولا الفرح من الخيرات، بل موقفُ المؤمن هو
الصبر و الشكر.

الحكمة الثالثة والثلاثون

الْحَقُّ لَيْسَ بِمَخْجُوبٍ وَإِنَّمَا الْمَخْجُوبُ أَنْتَ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهِ
إِذْ لَوْ حَاجَبَهُ شَيْءٌ لَسْتَرَهُ مَا حَاجَبَهُ وَلَوْ كَانَ لَهُ سَائِرٌ لَكَانَ
لِوُجُودِهِ حَاصِرٌ وَكُلُّ حَاصِرٍ لِشَيْءٍ فَهُوَ لَهُ قَاهِرٌ ﴿ وَهُوَ
الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾

الحقُّ لَيْسَ بِمَخْجُوبٍ كيف يكون محجوباً وهو أظهر من الظهور،
وهو الذي خلق الظاهر والباطن سبحانه ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
﴾ (البقرة 29)، ﴿ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ (فصلت 54). كيف
يكون محجوباً! وَمَنْ ذَا الذي يَحْجُبُ رَبَّنَا سبحانه وتعالى. هذا

مُحال عقلا ونقلا..الحقُّ ليس بمحجوب، ولا يمكن أن يكون. فإنه سبحانه وتعالى ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (البقرة 117). كان قبل هذه الأكوان وهو الآن على ما عليه كان. فماذا الذي يحجبه. إذا كانت الأكوان فيه سبحانه وتعالى عدما، فكيف يحجب العدم الوجود، وهو الوجود الحق سبحانه وتعالى. هذه الأكوان صورٌ ورسومٌ خلقها وأوجدتها وأبرأها وأبدعها. وهى في مقابلة العرش الذي هو سيد المخلوقات عِظَمًا لا شئ..ذرة في صحراء كبيرة. فما بالك بخالق العرش الذي لا يحده حد ولا مكان ولا زمان ولا حال، وهو الآن على ما عليه كان. الحقُّ لَيْسَ بِمَحْجُوبٍ. وقولنا سيّد الكائناتِ عِظَمًا..أَمَّا سَيِّدُ الكائنات على الإطلاق، وهو أفضل من العرش والكعبة وكل المخلوقات هو سيّدُ الخَلْقِ صلى الله عليه وآله وسلم. ولذلك يقول أهلُ الله: **اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى عَرْشِ اسْتِوَاءٍ رَحْمَانِيَّتِكَ** لأنه صلى الله عليه وسلم يُفَاخِرُ العرشَ بِعِظَمَتِهِ عِنْدَ الله. قد يدخلُ على العرش وقد بَجَلَّى قَهْرُ الله عليه فَأَسْكَنَهُ وَسَكَّنَهُ أَنَّهُ أعظمُ المخلوقات. فيأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأذ به موصوفٌ بأنه عرش استواء الرحمانية. وليس استواء القاهرة كما كان على العرش المخلوق هذا. فمن أفضل؟ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الْقَهَّارِ الْمُنتَقِمِ﴾ ، فالجمالُ قبلُ الجلالِ على الأكوان. فسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضلُ الخلق أجمعين. قال وَإِنَّمَا الْمَحْجُوبُ أَنْتَ. فإذا كان الحجاب بينك وبين الله فمن المحجوب، الله أم أنت؟ بالطبع أنت المحجوب. أنت المحجوب في نفسك. وَإِنَّمَا الْمَحْجُوبُ أَنْتَ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهِ سبحانه، لكن لو

نظرت إليه لا بعين البصر ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ
الْأَبْصَارَ ﴾ (الأنعام 103)، ولكن بعين البصيرة:

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ
إِذْ لَوْ حَجَبَهُ شَيْءٌ لَسَتَرَهُ مَا حَجَبَهُ وَهُوَ السَّاتِرُ لَا
الْمُسْتَوْرَ.. فالمستور أنت وَلَوْ كَانَ لَهُ سَاتِرٌ لَكَانَ لُجُودُهُ
حَاصِرٌ سَبْحَانَهُ وَوُجُودُهُ لَا حَاصِرَ لَهُ وَلَا يَسْتَطِيعُ وَكُلُّ حَاصِرٍ
لِشَيْءٍ فَهُوَ لَهُ قَاهِرٌ سَبْحَانَهُ ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾
(الأنعام 18). إذن فالله هو القاهر، لا المقهور.. وهو القوى،
لا الضعيف.. وهو الخالق لا المخلوق.. وهو الذي يَأْذَنُ
بالحجاب أو برفعه لا المحجوب.. وإنما كل ذلك أنت.

الحكمة الرابعة والثلاثون

أُخْرِجْ مِنْ أَوْصَافِ بَشَرِيَّتِكَ عَنْ كُلِّ وَصْفٍ مُنَاقِضٍ
لِعِبُودِيَّتِكَ لِتَكُونَ لِنِدَاءِ الْحَقِّ مُجِيبًا، وَمِنْ حَضْرَتِهِ قَرِيبًا

بعد أن بين رضي الله تعالى عنه وأرضاه مقامك في الدُّنْيَا،
وَأَنَّكَ مَخْلُوقٌ.. وَأَنَّكَ مَحْصُورٌ وَأَنَّكَ مَحْجُوبٌ.. وَأَنَّكَ
مُحْتَاجٌ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ لَكَ أُخْرِجْ مِنْ أَوْصَافِ
بَشَرِيَّتِكَ عَنْ كُلِّ وَصْفٍ مُنَاقِضٍ لِعِبُودِيَّتِكَ لِتَكُونَ لِنِدَاءِ الْحَقِّ
مُجِيبًا وَمِنْ حَضْرَتِهِ قَرِيبًا فَلَا تَضِيعُ وَقْتُكَ أَيُّهَا الْمَحْصُورُ
الْمَحْجُوبُ الضَّعِيفُ الْمَخْلُوقُ بَلْ حَاولْ أَنْ تَتَغَلَّبَ عَلَى كُلِّ
حِجَابٍ وَأَنْ تَرْفَعَ ذَلِكَ الْحِجَابَ حَتَّى تَنْظُرَ إِلَى رَبِّ
الْعَالَمِينَ. أَطْلُبْ الْأَنْوَارَ رَاحِلًا حَتَّى تَطْلُبَكَ الْأَنْوَارُ وَاصِلًا.

فعليك أن تتخلص من صفات بشريتك التي تُعارضُ عبوديتك. العبودية هي الطاعة. الخضوع. التسليم لرب العالمين ظاهرا وباطنا. فأمرنا بالأركان ونهانا عن الموبقات والذنوب والطمع والشهوات التي تحرك الإنسان، والعجز والكسل يُوقعُ به في المخالفة.. مخالفة الأمر أو مخالفة النهي. فلا بد عليك أن تخرج من هذا. ويكونُ هذا بثلاثة كما قال أهلُ الله: بالذكر.. والتربية.. وبالخلوة.

أما الذكر، فلقد قال تعالى ﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ﴾ (البقرة 152)، وقال تعالى ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴾ (الأحزاب 35)، وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا لِدِكْرِ اللَّهِ ﴾ .

وأما التربية فقالوا بقلّة الطعام.. وقلّة المنام.. وقلّة الكلام.. وقلّة الأنام. وكلّ ذلك ورد في السنة. فأمرنا بالصّمت فقال ﴿ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ ﴾ ، وأمرنا بالتقليل من الناس حيث قال فيما أخرجه البُستيّ في العزلة عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ﴿ ذَهَبَ النَّاسُ وَبَقِيَ النَّسْنَسُ، قالوا: وَمَا النَّسْنَسُ قال: أَنَاسٌ فِي صُورَةِ النَّاسِ وَلَيْسُوا بِنَاسٍ ﴾ .

وفي العزلة قال صلى الله عليه وسلم ﴿ لَا يَكُونُ أَحَدُكُمْ إِمَّعَةً يَقُولُ أَنَا مَعَ النَّاسِ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنْتَ وَإِنْ أَسَاءُوا أَسَأْتُ بَلْ وَطَنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى أَنَّهُمْ إِنْ أَحْسَنُوا فَأَحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تُسِيئُوا ﴾ ، وأمرنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال ﴿ مَنْ حَفِظَ بَيْنَ فَكَيْهِ وَفَخِذَيْهِ ضَمِنْتُ لَهُ الْجَنَّةَ ﴾ ،

وقال ﴿ يَا مُعَاذٍ: وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ﴾ ، ونهانا ربنا عن اللغو. ونهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشهوات وعن الغضب وقال ﴿ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُحِبُّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ﴾ ، وأمرنا صلى الله عليه وسلم بكل ذلك.

وَأَخَذُوا الْخُلُوةَ مِنْ غَارِ حِرَاءٍ عِنْدَمَا كَانَ يَتَعَبَّدُ رَسُولُنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ فَيَتَحَنَّتُ. أَيِ يَتْرُكُ الْحِنْتَ. وَيَتَحَنَّتْ هِيَ مِنَ الْأَفْعَالِ السَّلْبِيَةِ، مِثْلَ يَتَهَجَّدُ أَيِ يَتْرُكُ الْهَجُودَ، وَيَتَحَنَّتْ أَيِ يَتْرُكُ الْحِنْتَ وَالْكَلَامَ الْبَاطِلَ.. يَتَحَنَّفُ أَيِ يَتْرُكُ الْإِعْوَجَاجَ، وَهَكَذَا. فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَحَنَّتُ فِي غَارِ حِرَاءٍ.. يَعْبُدُ رَبَّهُ، فَأَخَذُوا مِنْهَا الْخُلُوةَ.

أُخْرِجَ مِنْ أَوْصَافِ بَشَرِيَّتِكَ عَنْ كُلِّ وَصْفٍ مُنَاقِضٍ كُلِّ وَصْفٍ لِعِبُودِيَّتِكَ يُعْطَلُّكَ عَنِ الطَّاعَةِ لِتَكُونَ لِنِدَاءِ الْحَقِّ مُجِيبًا أَمْرًا وَنَهْيًا وَمِنْ حَضْرَتِهِ قَرِيبًا نُورًا وَرَفْعًا لِلْحِجَابِ.

الحكمة الخامسة والثلاثون

أَصْلُ كُلِّ مَعْصِيَةٍ وَغَفْلَةٍ وَشَهْوَةٍ: الرِّضَا عَنِ النَّفْسِ وَأَصْلُ كُلِّ طَاعَةٍ وَيَقْظَةٍ وَعِقَّةٍ: عَدَمُ الرِّضَا مِنْكَ عَنْهَا. وَلَئِنْ تَصَحَّبَ جَاهِلًا لَا يَرْضَى عَنْ نَفْسِهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَصَحَّبَ عَالِمًا يَرْضَى عَنْ نَفْسِهِ. فَأَيُّ عِلْمٍ لِعَالِمٍ يَرْضَى عَنْ نَفْسِهِ؟ وَأَيُّ جَهْلٍ لَجَاهِلٍ لَا يَرْضَى عَنْ نَفْسِهِ

العلم والجهل ليس بكثرة المعلومات وإنما بما يوصلك إلى الله. وأصل المعاصي الرضا عن النفس.. وأصل الطاعات عدم الرضا عن النفس ومحاولة إصلاحها وعدم اليأس منها فكل ابن آدم خطأ وخير الخطائين التوابون. حتى لو تُبِتَ إلى الله مائة مرة يعلمنا سيد الخلق المصطفى الكريم المجتبي الرحيم صلى الله عليه وآله وسلم.. يعلمنا فيقول ﴿ إِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةِ مَرَّةٍ ﴾ ، وهو قد غُفِرَ ما تقدمَ من ذنبه وما تأخر. صلى الله عليه وآله وسلم. وإنما ذلك لرسم الطريق إليه سبحانه، فيقول أَصْلُ كُلِّ مَعْصِيَةٍ وَغَفْلَةٌ وَشَهْوَةٌ الرِّضَا عَنِ النَّفْسِ فإذا الإنسان لم يرض عن نفسه تخلص من حجابهِ وكُشِفَتْ له أسرار ولكن يجبُ عليك أن تستمر في عدم الرضا عن نفسك أبداً إلى أن تَلْقَى الله. لا ترضى عنها بعد أن أَبَتِ إِلَّا نَقْضَهَا. فإذا نقضت نفسها رضيت عنها فقد وقعت في المحذور الذي منه فَرَرْتَ. قال أهلُ الله: مَثَلُ ذَلِكَ كَمَثَلِ مَنْ هَرَبَ مِنَ الْمَطَرِ فَوَقَّفَ تَحْتَ الْمِيزَابِ. هرب من المطر وهو رذاذ لطيف خفيف فوقف تحت الميزاب الذي هو الميزاب الذي يقوم بتركيز المياه عليه فوقع في المحذور بعد أن كان قد هربَ من خفيفِ المطر. أليس هذا بأحمق. لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْتَطَبُّ بِهِ إِلَّا الْحَمَاقَةَ أُعْيِتَ مَنْ يُدَاوِيهَا. كان البعض عندما رأى المشايخ الكبار الذين يُعَلِّمُونَ بالنظرة وَيُرَبُّونَ بالنظرة قالوا لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْتَطَبُّ بِهِ حَتَّى الْحَمَاقَةَ لَأَقْتُ مَنْ يُدَاوِيهَا فالحماقة قد تجد من يداويها ولكن تحتاج شيخ كبير. أي يكون قلبه

واسعا بعض الشئ حتى يتحمل الحماقة ويداويها. وكان السيد أحمد البدوي يُرَبِّي بالنظرة من ميراث النبوة صلى الله عليه وآله وسلم. سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُرَبِّي بالنظرة، قال ابن حجر من رآه النبي – وليس من رأى النبي لأنه قد يكونُ ضريرا كابن أم مكتوم – من رآه النبي أَخَذَتْ النظرةُ منه صلى الله عليه وسلم مَا اسْتَوْجَبَ تَعْدِيلَهُ. أي أن النبي إذا نظر لك هكذا يُخَدِّثُ فيك شيئا يجعل اسمك صحابى. وصحابى أي عَدْلٌ..وَعَدْلٌ أي لا نستطيع أن نقدح فيه. قالوا فمن ميراث النبوة أن سيدنا رسول الله قد وَرَّثَ هذا الميراث لأئمة عن طريق الأولياء وكبار أهل الله. يَرِثُونَ عنه من بركته شيئا فشيئا. لا يجتمع في ولى منهم ما اجتمع في رسول الله إنما هو كالشمس شُعَاعُهَا يَصِلُ إِلَى الْأَقْطَارِ كُلِّهَا. فكل شعاع منه صدر منه إلى ولى من أولياء الأمة ومربيها ومرشديها ووارثيها المحمديين. فأخذوا منه صلى الله عليه وسلم ما تستقيم به الأحوال. منهم من أخذ الكرامات من معجزاته..ومنهم من أخذ التربية..من النظرة..الحال..والخواطر..والسُّلُوك..وَالْجَذْبَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. فكل ذلك كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه الإنسان الكامل. وهذا هو الذي جعله خَاتِمًا لِلْمُرْسَلِينَ..وسيدا للنبيين..وإماما للغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ..ومصطفى الرحمن سبحانه وتعالى..وَمُجْتَبَى الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى..والكلمة الأخيرة للبشرية..وهو الذي أعلى ذكره وأفرد شأنه..وهو الذي حافظ على كتابه من

التحريف.. وجعل اسمه يُذكر على المآذن كلَّ يوم.. وأبرز قبره لزيارته صلى الله عليه وسلم حتى يبقى القرآن غَضًا طَرِيًّا غَيْرَ مَنْسُوخٍ منه شَيْءٌ ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ (النساء 64)، سبحانه وتعالى. فأبرز قبره للوصول إليه، والمُثُول بين يديه، ثم تقول له: ثُبَّتْ يا رسول الله فاستغفر لي فيستغفرُ لك رَبِّكَ فيغفرُ لك. ولم يكن ذلك لأحدٍ من الأنبياء قبله. وأبقى أهل بيته الكرام عنوانا على وجوده حسًا كما أنه كان موجودا في زمنه فإنه موجودٌ عَبْرَ القرون ومازال نبيا ورسولا إلى أن يدخل الجنة. اللهم احشرنا تحت لوائه، آمين.

قالوا لعمر بن الخطاب: يهوديٌّ في المدينة – قبل أن يُجْلِيَهُمْ منها – يَكْشِفُ من وراء الكثيف (أي يرى من خلف الجدران والحيطان) قال لهم: بلاش زِيطة (ليس هناك داعٍ للاضطراب والقلق).. لا نريد زِيطة (هرج ولا مرج)، فأحضر سَيْفَهُ ليذهب لقتله. وَطَرَقَ البابَ على اليهودي، فقال له اليهودي: يا عمر جئت لتقتلني متوشحا سيفك. رأى السيف وهو يخفيه من خلف ظهره معه. فقال له عمر: افتح ولك الأمان (وهؤلاء الناس عندما كانت تقول لك الأمان يعنى ذلك أن لك الأمان بالفعل وليس هناك غدر ولا خيانة، فكانوا نبلاء أتقياء. كانوا رجالا والرجال قليل). ففتح له. قال له عمر: أنا مستخصرُك (أربأ بك أن تظل على اليهودية)، ما هذه اليهودية التي أنت عليها، أسلم. وأريد أن

أعلم منك كيف وصلت إلى هذه المرتبة؟ هل تذكرون شيئاً عندكم أو سر أو من هذا القبيل. فقال له اليهودى: أبداً.. ما عرضتُ شيئاً منذُ ثلاثين عاماً على نفسي فأرشدتني إلى شيء إلا خالفتها ففعلت عكساً. مثلاً إذا قلت أنا نفسي أذهب إلى المكان الفلاني أقول فوراً طالما أنه نفسي في كذا فلن أذهب. ومثلاً إذا كان نفسي أن آكل الآن، وطالما أنها نفسي فلا آكل. وإذا كنت أريد هذا، فما دمت أريد (عاوز) إذن بلاش منه. فهو واضعٌ لنفسه تحت حدائه (نعله). فما كان إلا أن وجد نفسه في هذه الحالة. فقال له عمر: خسارة بعد أن أصبح قلبك في هذه الرقة أن تدخل النار، فعليك أن تدخل الإسلام لتنجو. فقال له اليهودى: اتركني بعض الوقت. وبعد يومين أو ثلاثة حضر وأسلم. فسأله عمر لما أسلمت؟ فقال له: عرضتُ الإسلام على نفسي فأبَت فأسلمت. (قال الحاضرون من تلاميذ الشيخ على جمعة بصوت واحد: لا إله إلا الله). هل رأيتم كيف يُلطف الله بهذا الرجل. إنه يُقدّر له الخير لأنه ختم له بخير فجعله يأبى الإسلام كي يظل مستمراً على القاعدة.. أنه يأبى ويرفض كل ما ترفضه نفسه ويعكس.. فلما عرض الإسلام على نفسه وجد أن هناك شيئاً من الهوى يصُدّه عن الإسلام ويقول له: لا. فأجاب: وكيف لا! إذن هذا هو الحق. فنجاه مخالفة النفس. يقول و أَصْلُ كُلِّ طَاعَةٍ وَبَقْطَةٍ وَعَقَّةٍ عَدَمُ الرِّضَا مِنْكَ عَنْهَا. وَلَئِنْ تَصَحَّبَ جَاهِلًا لَا يَرْضَى عَنْ نَفْسِهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَصَحَّبَ عَالِمًا يَرْضَى عَنْ نَفْسِهِ. عَالِمٌ فِي

الظاهر وليس في الحقيقة..وجاهل في الظاهر ولكنه سابقنا إلى الجنة لأنه لم يرض عن نفسه. وقالوا: رَبِّ مَعْصِيَةٍ أَوْرَثَتْ ذُلًّا خَيْرٌ مِنْ طَاعَةٍ أَوْرَثَتْ كِبَرًا، فإذا صَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَكَبَّرْتُ على خلق الله تكون مصيبة فلا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبَرٍ. وحببة الخردل هذه صغيرة جدا، فحببة الشعير فيها ستة آلاف حببة خردل..حببة الشعير فيها ستة آلاف حببة خردل. لم يقل حتى حببة شعير ولكن قال حببة خردل. اللهم الطف بنا وتقبلنا على ما نحن عليه واعف عنا واستر عينا واغفر ذنبا وشفع فينا حبيبك يا أرحم الراحمين. فَأَيُّ عِلْمٍ لِعَالِمٍ يَرْضَى عَنْ نَفْسِهِ؟ وَأَيُّ جَهْلٍ لَجَاهِلٍ لَا يَرْضَى عَنْ نَفْسِهِ إِذْنٌ عَلَيْكَ أَلَّا تَتَكَبَّرَ لِأَنَّ الْكَبِيرَ سَيِّئٌ. ودائما اعرف أن كل الناس عاصيهم ومؤمنهم..الكلب الذي في الطريق أحسن من... فالكلب لا يعصى رغم أن نجس. ورغم أنه نجس إلا أنه يُسَبِّح ﴿ وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (الإسراء44) ، ولقد مَنَّ الله عليه بعدم التكليف، ولذلك فلقد نجا. سوف تكون تراب أو أي شيء آخر..معلش..لكن مصيبتنا نحن أننا كُلفنا ويجب علينا أن نقوم بما كُلفنا به. الشيخ الفُرغَل كان يجلس هنا أمام الأزهر عند أصحاب الكتب في الخارج، وكان مجذوبا. فوجد ابنه يقول لكلب: يا كلب يا ابن الكلب. قال سببته فاستغفر ربك. فالمطلوب حتى ألا نُحَقِّرَ الكلاب. فما بالك ببنى الإنسان. الكافر تعترض على كُفْرِهِ..والعاصي تعترض على معصيته لا عليه هو فربما يُخْتَمُ

لهُ بخير. قال أبو مَدِين في آداب الطريق: وكن مهما قدموك
ورا. فالله يا ربنا اغفر لنا ذنبا.

الحكمة السادسة والثلاثون

شُعَاعُ الْبَصِيرَةِ يُشْهِدُكَ قُرْبَهُ مِنْكَ، وَعَيْنُ الْبَصِيرَةِ يُشْهِدُكَ
عَدَمَكَ لَوْجُودِهِ، وَحَقُّ الْبَصِيرَةِ يُشْهِدُكَ وَجُودَهُ لَا عَدَمَكَ
وَلَا وَجُودَكَ

إذن فهي درجاتُ ثلاث، بعضها فوق بعض وحسب سير
السالك في طريق الله إلى الله. في الأولى تشتغل البصيرة، واشتغالُ
البصيرة يُؤْذِنُ بأننا قد بدأنا السيرَ إلى الله. وقلنا إن اليقظة هي
أولُ الطريق. واليقظةُ معناها القيامُ من الغفلة. والغفلة أن
تنسى من أنت أيها الإنسان، وأنت مخلوق لله سبحانه وتعالى
وأنه لا يُكُونُ في كَوْنِهِ إلا ما أَرَادَ، وأنه لا حول ولا قوة إلا
بالله، وأنه لو اجتمعَ العالمُ على أن ينفَعوكَ بشيءٍ لن ينفَعوكَ إلا
بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضرُوكَ بشيءٍ لا
يضرُوكَ بشيءٍ إلا وقد كتبه الله عليك، جَفَّتِ الأَقْلَامُ وَرُفِعَتْ
وُطُويتِ الصُّحُفُ وانتهى الأمر. فإذا عَرَفْتَ ذلك والله اعلم بما
هنالك فقد بَدَأَتْ اليقظة. فَبَدَأَتْ البصيرةُ تشتغل، وصدر منها
شعاع ينير لك الطريق. هذا الشعاع يُشْهِدُكَ قُرْبَهُ مِنْكَ يعني
كأنك تشعر وتفهم أن الله موجود وأنت موجود، وأن الله قريبٌ
منك ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة 186)،
يشعر الإنسان باثنين: الله الخالق، والعبد المخلوق. تشعر بوجودك

وتعلم أن وجود الله. هو الحق. نعم، والشعاع الذي يصدر من بصيرتك يهديك إلى الله سبحانه وتعالى، ويجعلك تُوقِنُ بأنه هو الحق شعاع البصيرة يُشهِدُكَ قُرْبُهُ مِنْكَ ، وقُرْبُهُ مِنْكَ تعنى أنه أثبت وجودين: وجود الحق رب العالمين، ووجود الفاني للعبد الضعيف. ثم يترقى في طريق الله. وَلَمَّا أن يرى ذلك الشعاع تشتغل عين البصيرة. وعين البصيرة تشاهد بها أكثر وأكثر، وتعلم بها الحق مجردا فترى وجود الله هو الوجود الحق وتستحي حينئذ عندما تعمل عين البصيرة أن تسمى نفسك موجودا. فإن الله هو الأول الذي لا قبله شيء وهو الآخر الذي لا بعده شيء، وهو الظاهر الذي هو أَظْهَرُ من الكائنات وهو الباطن الذي هو وراء كل شيء، وأنه سبحانه وتعالى بكل شيء عليم وبكل شيء محيط. أما أنت فلك بداية حيثما وُلِدْتَ ولك نهاية حيثما تموت.. قائم بالله لا بنفسك. فعندما تشتغل عين البصيرة يحتقر الإنسان نَفْسَهُ أَنْ يُسَمَّى نفسه مع الله موجودا، فإن وجوده مستمد من وجود الله، وبأمر الله. والله سبحانه وتعالى يَخْلُقُهُ كُلَّ لَحْظَةٍ، وكل حين فإذا قَطَعَ عنه الإمداد فَتَى، لا يموت وإنما يَفْنَى.. جِسْمُهُ يَفْنَى.. يَتَلَاشَى.. لا وجود له.. عَدَم. إذن فأنت تُخْلُقُ شيئا فشيئا.. ولحظة من بعد أخرى اللهم لا تكلنا لأنفسنا طَرْفَةَ عَيْنٍ وَلَا أَقْلَ من ذلك لأنه لَوْ وَكَلَكَ لنفسك لا تستطيع أن تَخْلُقَ نفسك وبذلك تفنى فالله لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك. عين البصيرة إذا اشتغلت شَعَرَتْ بعدمك، وبأن الذي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى موجودا هو الله وحسب. أما أنت فترا ب ابن تراب.. وعدم ابن عدم.. أما أنت فخيال.. أما أنت فلا وُجُودَ لك في هذا الكون إلا به سبحانه وتعالى. فأنت

موجودٌ حاصلٌ في الكون به لا بنفسك ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾
(الرحمن 29)، فإنما أُمُورٌ يُبْدِيهَا ولا يَبْتَدِيهَا. يبيدها من علمه
وقدرته وإرادته فيُظهِر هذا الكون ويُظهِر استمراره. لكن الحقيقة
أن الله لو قطع عنا الإمداد لفنينا. فإذا سار السالك في طريق الله
أكثر من هذا وصلت البصيرة إلى درجة الحق. وَحَقُّ الْبَصِيرَةِ
يُشْهِدُكَ وَجُودَهُ وَحَدَهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَتَغِيْبُ عَنْ عَدَمِكَ وَوُجُودِكَ
معا. يعنى عين البصيرة تُعَيِّنُكَ عَنْ وَجُودِكَ وَحَقُّ الْبَصِيرَةِ يَغِيْبُكَ
عَنْ عَدَمِكَ. أنت لا شئ أنت بالله تماما. حتى شعورك هذا إنما
هو من الله — إذا حدث لك. فالذى فَجَّرَ شعاعَ البصيرة هو
الله..والذي جعل الإنسان لم يدخل طريق الله هو الله..والذي
وفق هو الله..فكيف نحمده سبحانه وتعالى؟ نعجز عن حمده
وشكره، فيقول رسول الله ﷺ ﴿لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ
أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ﴾ لأنك كلما حمّدت الله سبحانه
وتعالى كلما استوجب ذلك منك حمداً مجدداً لأنه وفقك أن
تحمده. فكيف تنتهى؟ وهل أوقاتنا تسمح بذلك؟ إذن فأنت
مخلوق عاجز!. ولذلك يسجد المسلمون. ماذا تقول في الركعة؟
تقول الحمد لله رب العالمين. وبعد أن تنتهى من الفاتحة تجد أن
الذي وفقك هو الله فَتَخِرُّ لَهُ رَاكِعًا. ومن الذي وفقك أن تركع؟
الله. لذلك فتخر له ساجدا. أرايت كيف تفعل في الصلاة؟
حقيقة الأمر أنك لا تدري ماذا تفعل. الحمد لله لا تكفى..فها
أنا راکع إظهارا للخضوع لك وحدك لا شريك لك..ولكن هذا
من عنده..حسنا..سوف أسجد شكرا للركوع..ولكنه من عنده
أيضا..حسنا..سوف أكرر السجود، فأنا لا أعرف ماذا أنا
بفاعل. هل أقوم بإدخال نفسي تحت الأرض! ماذا أفعل؟

فأسجد مرة أخرى شوقا لحمده وتسبيحه وتنزيهه.. لا
يكفى.. فإذا نعيد ونكرر مرة أخرى فأقوم أحمد ثانيا.. آتى بركعة
ثانية وثالثة ورابعة. ولو كان فتحها لنا فكنا نتفرغ للصلاة فقط،
ولكن كانت الدنيا ستهلك فلدينا أشياء أخرى ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ
أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ (الرعد 38)، يعنى جعلنا لهم علائق في الدنيا
للعماراة. حق البصيرة ينتفى معه وجودك وعدمك معا وتراه وحده
لا شريك له.

الحكمة السابعة والثلاثون

كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءٌ مَعَهُ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ

كَانَ اللَّهُ قَبْلَ الْخَلْقِ وَلَا شَيْءٌ مَعَهُ، وَقَالَ لِلْخَلْقِ كُنْ فَكَانَ.
وَأَمْرُهُ بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ. أمره بين الكاف والنون أي أنه
قادرٌ على أن يخلق السماء والأرض وما بينهما وما فيهن في
لحظة.. لا.. بل في أقل من لحظة. لأن كن تأخذ لحظة.. تأخذ أقل
من لحظة.. ولكن لحظة تعنى نظرة.. طرفة عين.. وهذه زمنها أقل
من ثانية. وكن خرجت مباشرة (طلعت على طول اهوى) أقل من
ثانية أيضا.. أقل من لحظة. فأمره بين الكاف والنون. لكنه علمنا
لنا أن الأشياء تُبْنَى شيئا فشيئا (واحدة واحدة). وأهل الطريق
سموه طريق لماذا؟ لأنه خطوة خطوة. أرايت الكلام؟ فيقول لك
سر في طريق الله. والبعض لا يفهم فيقول: ولكن طريق الله سموه
طريق لماذا فهذه بدعة. فقال لهم: لا ليست بدعة، فالطريق معناه
سر خطوة خطوة.. لا تتعجل فإن هذا الدين متين فأوغل
فيه برفق إِنَّ الْمُنْبِتَ لَا أَرْضَ قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى فَإِنْ سِيدَنَا

رسول الله سَمَّى السير إلى الله طريق أم لا؟ سماه طريق. قال كَانَ الله وطالما أنه هناك شعاع البصيرة وعين البصيرة وحق البصيرة فتنبه أنه كَانَ الله وَلَا شَيْءَ مَعَهُ وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ فما نحن إذن؟ نحن فيلم! لا حول ولا قوة إلا بالله. والذي صنعه وأمر به وأوجده وأخرجه وأبرزه وأظهره هو الله.

الحكمة الثامنة والثلاثون

لَا تَتَعَدَّ نِيَّةَ هِمَّتِكَ إِلَى غَيْرِهِ فَالْكَرِيمُ لَا تَتَخَطَّاهُ الْأَمَالُ

الله كريم. فكن ذكيا وإياك أن تطلب من غيره.. فممن تطلب؟ ليس لنا سواه. فهل ستطلب من العبد فسوف يلعب بك ستين لعبة. هل تطلب من نفسك؟ إنك عاجز فهل تستطيع أنت أن تفعل شيء. اطلب من الكريم الذي لا يُرَدُّ من طرق بابه.. الواسع سبحانه وتعالى.. الجواد الذي يعطى بلا حدود وبلا محاسبة وبلا حساب.. الله سبحانه وتعالى. الله لا تتخطاه همتك ونيتك ونية همتك إلى غيره، فإن الكريم لَا تَتَخَطَّاهُ الْأَمَالُ. إذا عرفت الحقيقة وأنه لَا يَكُونُ فِي كَوْنِ اللَّهِ إِلَّا مَا أَرَادَ، وأن هذا الوجود كله بإذن الله عرفت ممن تطلب. فإذا كان الله قد قَدَّرَ بعض الأرزاق فهو فعال لما يريد لكنه كريم. ولم يقل على نفسه ومن أسمائه أنه الْمُضَيِّقُ بل هو الواسع الكريم الذي لا يرد من سألته ودعاه. ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر 60)، والله إذا حَزَرْنَا قُلُوبَنَا مِنَ السَّوَى وسألنا ربنا لاستجاب لنا. لكن كثير من الناس وهى تسأل تتعجل.. أو وهى تسأل يَلْحَظُ قَلْبُهَا السَّوَى (فماذا

يعنى السوى هو سوى الله) يلحظ قلبه السوى. يعنى يصبح مَيَّال (مائلاً) فيقول يا رب حَنَّ قلبه على قلبه ايه وبتاع ايه بل قل يا رب افعل هذا مباشرة قلبه ايه ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال 24) وهذا هو سيدنا موسى ربنا فعل فيه شيئاً عجيباً بأن ألقى عليه المحبة ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه 39) حينما كان في المهد.. وحينما كان كبيراً وفي كل وقت. فماذا فعل فرعون؟ فرعون يعلم أن هذا سوف يقتله. فرعون جبار.. ومما قيل عنه أنه كان يقتل بالنظرة، يعنى ينظر للحارس بعينه هكذا يحرك عينه فقط ولا يقل اقتل هذا ولا بشرط الكلمة فالنبي عليه السلام يقول ﴿مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ أَخِيهِ وَلَوْ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ اسْتَوْجَبَ النَّارَ﴾ ، وشرط الكلمة كما يقول العلماء هو (أُق) فهذه هي شرط الكلمة. بعض الجبابة يكون بينه وبين سيافه وَقَتَّلَ الْقَتْلَةَ الْخَاصَّ بِهِ سِين أي (رمز معين) فلا يقول اقتل فلان وإنما يقول (اق) فقط. ولكن فرعون لم يكن يقل اق حتى ولكنه كان ينظر فقط فيقتلوه على الفور. خلاص عرفنا هذا الجبار.. جبار ومتكبر.. عاتى كافر.. ولكن عندما يرى سيدنا موسى ماذا يقول له؟ ﴿أَلَمْ نُزَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (الشعراء 18-19). ما هذا هل سوف تكلمه أم ماذا؟ اقتله؟ لكنه لا يقدر. ايه ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ (الأنفال 24) ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ (طه 39) فينظر فرعون إليه هكذا ويحبه. لماذا تحبه؟ اقتله فإنه سوف يقتلك فأنت جبار. ولكنه لا يستطيع فيقول له يا بنى ليس هكذا. ما هذا! ما هذا؟ ألم نربك فينا وليداً هل هذا

كلام فراعنة.. هذا كلام واحد يلوم ابنه. وأيضا يقول له وفعلت فعلتك التي فعلت معنى هذا أن وراءك قضية. وهى قضية كبيرة: فوكزه موسى فقضى عليه فهي إذن قضية قتل عمد. إذن كان يجب أن أقتلك فأنا أيضا معي قضية توجب قتلك يا موسى غير حكاية أنى أخاف منك وأنتك ستقتلنى وهكذا. اقتله إذن. لا. ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين يقول له يا أخى العشرة لا تهون إلا على ابن الحرام. فما هذا.. ما هذا الكلام.. من أين أتى هذا الكلام؟ إنه أتى ممن حيل بينه وبين قلبه. جاء من إلقاء حب الله عليه. فماذا يقول لكم أيضا ربنا؟ ثِقْ بِاللّٰهِ لَا تَتَعَدَّ نِيَّةُ هِمَّتِكَ إِلَىٰ غَيْرِهِ فَالْكَرِيمُ لَا تَتَخَطَّاهُ الْأَمَالُ إذن هذا الرجل كان مفتوح عليه.. الشيخ ابن عطاء قلبه رأى الحقائق فصاغها بتوفيق الله.

حَرَامٌ عَلَىٰ مَنْ وَحَدَ اللّٰهُ رَبَّهُ وَأَفَرَدَهُ أَنْ يَجْتَبِيَ أَحَدًا رِفْدًا
وَيَا صَاحِبِي قِفْ بِي مَعَ الْحَقِّ وَقَفَّةً أُمُوتُ بِهَا وَجَدًا وَأَحْيَا بِهَا
وَجَدًا
وَقُلْ لِمُلُوكِ الْأَرْضِ تَجْهَدُ جَهْدَهَا فَذَا الْمُلْكُ مُلْكٌ لَا يُبَاعُ وَلَا
يُهْدَىٰ.

الحكمة التاسعة والثلاثون

لَا تَرْفَعَنَّ إِلَى غَيْرِهِ حَاجَةً هُوَ مُورِدُهَا عَلَيْكَ فَكَيْفَ يَرْفَعُ
غَيْرُهُ مَا كَانَ هُوَ لَهُ وَاضِعًا؟ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرْفَعَ حَاجَةً
عَنْ نَفْسِهِ فَكَيْفَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكُونَ لَهَا عَنْ غَيْرِهِ رَافِعًا

لَا تَرْفَعَنَّ إِلَى غَيْرِهِ حَاجَةً هُوَ مُورِدُهَا عَلَيْكَ فلماذا تطلب؟
إنها آتية إليك.. آتية لا محالة.. وما نابك إلا الدُّلُّ للعبد (لم
يكن من نصيبك إلا الدُّلُّ) فَكَيْفَ يَرْفَعُ غَيْرُهُ مَا كَانَ هُوَ لَهُ
وَاضِعًا؟ فهل هناك من أحد يستطيع أن يفعل شيئًا؟ إنها
سوف تُفَعِّلُ غصبا عنه. اطلبوا بَعِزَّةَ النفسِ وَأَجْمِلُوا في
الطلب، فمثلا: لو سمحت توقع لي هذه. فيقوم بتوقيعها.
فإذا كان لن يقوم بتوقيعها فلا تعمل على ذُلِّ نفسك. مادام
هو لن يوقعها فماذا أنت فاعل له. مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرْفَعَ
حَاجَةً عَنْ نَفْسِهِ فَكَيْفَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكُونَ لَهَا عَنْ غَيْرِهِ رَافِعًا
إذا كان ما يسمونها قضاء الحاجة هل يعرف الإنسان ألا
يقضى حاجته؟ بالطبع لا يعرف فهي من الضرورات فلو
حاول يموت. ولو أن الله ابتلاه فمَنَعَ خُرُوجَ حاجته منه فإنه
يموت. فإذا كان هو لا يعرف أن يفعل هذا عن نفسه إلا
بفعل الله فيه.. وكان سيدنا أبو الحسن الشاذلي يقول نأكلُ
بالأرطال ونَشْرَبُ بالأسطال (والأسطال هي الجرادل وليس
ككوب ماء، لا هكذا السطل هو الجرادل الكبير) ونشرب
بالأسطال وَنَذْكُرُ مع الرِّجال فكان الذِّكْرُ يَحْرِقُ الطعامَ في

جسمه، فكان كل شهر أو شهرين تخرج منه مثل البعرة.. شيئاً صغيراً هكذا.. فأين ذهب؟ بإذن الله، فَإِنَّ الذَّكَرَ يحرق. فإِذْنُ الله تُقْضَى الحاجات.. ولكن غير هذا يكون مازال لا شعاع ولا عين ولا بصيرة حصلت حق البصيرة.

الحكمة الأربعون

إِنْ لَمْ تُحَسِّنْ ظَنِّكَ بِهِ لِأَجْلِ وَصْفِهِ فَحَسِّنْ ظَنِّكَ بِهِ لِأَجْلِ
مُعَامَلَتِهِ مَعَكَ فَهَلْ عَوَّدَكَ إِلَّا حَسَنًا؟ وَهَلْ أَسَدَى إِلَيْكَ إِلَّا
مِنًّا؟

إِنْ لَمْ تُحَسِّنْ ظَنِّكَ بِهِ لِأَجْلِ وَصْفِهِ لَأَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِأَجْلِ وَصْفِهِ أَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فَحَسِّنْ ظَنِّكَ بِهِ لِأَجْلِ مُعَامَلَتِهِ مَعَكَ مَا دُمْتَ لَا تَعْرِفُ (طالما أنك ما زلت لا تعرف) أَنْ تَعْبُدَهُ مِنْ أَجْلِ مَا هُوَ لَهُ وَمَا هُوَ أَهْلُهُ اعْبُدْهُ لِمَصْلَحَتِكَ مَا دُمْتَ أَنْكَ مَتَمَسَّكَ بِالدُّنْيَا جَدًّا (مكلبش فيها قوى) وَلَا تَعْرِفُ أَنْ تَخْرُجَ فَخِذَهَا وَاحِدَةً وَاحِدَةً (شيئاً فشيئاً)، فَهُوَ طَرِيقٌ. وَالطَّرِيقُ خُطَوَاتٌ.. فَوَاحِدَةٌ وَاحِدَةٌ. خِذْهَا وَاحِدَةً وَاحِدَةً، وَاعْبُدْهُ لِمَصْلَحَتِكَ أَوَّلًا. وَبَعْدَ ذَلِكَ تَرَفَّقْ إِلَى أَنْ تَعْبُدَهُ لِدَاثِهِ لِأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ فَهَلْ عَوَّدَكَ إِلَّا حَسَنًا؟ أَلَيْسَ طَوَالَ النَّهَارِ هُوَ يَنْعَمُ عَلَيْكَ وَأَنْتَ طَوَالَ النَّهَارِ تَبَارِزُهُ بِالْمَعْصِيَةِ وَبِالتَّقْصِيرِ وَبِالْقُصُورِ. وَسَتَرَكَ وَغَفَرَ ذَنْبَكَ وَيَسَّرَ غَيْبَكَ وَأَنْعَمَ عَلَيْكَ نِعْمًا لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى

وَهَلْ أَسَدَى إِلَيْكَ إِلَّا مِنَّا؟ ولكنك طالما أنك تعلم فتأمل
وتدبر في نفسك تجده كريما فإن لم تُحَسِّنْ ظَنَّاكَ بِهِ لِأَجْلِ
وَصِفِهِ فَحَسِّنْ ظَنَّاكَ بِهِ لِأَجْلِ مُعَامَلَتِهِ مَعَكَ أَفْلا يَكْرَمُكَ
ويؤيدك ويسترك. تخيل أن كل ذنب فعلته فضحك فيه،
فاللهم سَلِّمْ سَلِّمْ فستكون (وَحْشَه) بغیضة جدا.

الحكمة الحادية والأربعون

العَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِمَّنْ يَهْرُبُ مِمَّا لَا إِنْفِكَاءَ لَهُ عَنْهُ
وَيَطْلُبُ مَا لَا بَقَاءَ لَهُ مَعَهُ ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ
تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾

العَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِمَّنْ يَهْرُبُ مِمَّا لَا إِنْفِكَاءَ لَهُ عَنْهُ
وَيَطْلُبُ مَا لَا بَقَاءَ لَهُ مَعَهُ إنه شخص غريب جدا يفر من
الموت والموت لا بد أنه يلقاه. كما أنه ماسك في الدنيا،
والدنيا لا بد أنها تفارقه. وهذا هو ما تراه وتشاهده كل يوم.
فلماذا تفعل ذلك. إذن توكل على الله واجعل الدنيا في يدك
ولا تجعلها في قلبك. وكان من دعاء الصالحين اللهم اجعل
الدنيا في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا ولكن لا تترك
الدنيا أي تفر منها وتخرج من يدك..لا..بل حقيقة الزاهد
أن يمتلك الدنيا ثم لا تدخل في قلبه أما الشخص الذي
ليست معه الدنيا فليس بزاهد. ونقول عليه عابد أو فقير إلى
الله أو أي شيء آخر، لكن الزاهد هو من كانت الدنيا في يده

ثم لم يدخلها قلبه بأن لا يفرح بالموجود ولا يحزن
على المفقود ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى
الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (الحج46)، فتنبه غاية التنبه في
معاملتك مع ربك فلا تطلب من سواه، ولا تتعلق بشيء
فإن..تعلق بالآخرة..تعلق بالله فإن الله باق. ولا تتعلق بالدنيا
ولا بالناس فإن هذا على حدّ الفناء. فاللهم يا ربنا يا
كريم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون
أحسنه، واسلك بنا يا ربنا في الطريق إليك مسالك
المجذوبين إليك، الصالحين العابدين الزاهدين في
الدنيا الراغبين فيك. اللهم ثبت حبك وحب نبيك في
قلوبنا وهيئنا لأن نتلقى الأدب معك وافتح علينا
فتوح العارفين بك.